ملامح الرؤية والتشكيل

فى ديوان

" دموع المحبين فى وداع الرئيسى وأحمد ياسين "

لمجموعة من الشعراء العرب

إعداد الدكتور

عصمت محمد أحمد رضوان

مدرس الأدب والنقد بالكلية

مقدمـــة

الحمد لله العلىّ الأعلى ، الذى جعل للشهداء المنـــزلة الأسمى ، ووعد على الشهادة المثوبة العُظمى .

والصلاة والسلام على المبعوث بالشريعة المُثلَى ، والموعود بالشفاعة الكبرى ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومَن بهديه اهتدى .

أما بعد

فإن الرثاء غرض أصيل من أغراض الشعر العربى طوال عصوره المتتابعة ، وهو يتميز عن غيره من الأغراض بصدق العاطفة الناشئة عن لوعة الفقد ، وآلام الفراق .

وإذا كان الرثاء من ألوان الشعر الممتزجة بالأسى والشجن فإن هذا الأسى وذلك الشجن يتضاعفان إذا كان الفقيد رمزًا من رموز الأمة ، أو زعيمًا من زعمائها الباسلين .

وقد جاء ديوان (دموع المحبين فى وداع الرئيسى وأحمد ياسين) سجلاً جامعًا لبكائيات شعراء الأمة الإسلامية على اثنين من مناضلى الأمة الأخيار ، وشهدائها الأبرار هما (أحمد ياسين) ، و (عبد العزيز الرنتيسى) .

وقد اتسمت قصائد الديوان - إلى جانب نبل الغرض ، واحتدام العاطفة - بخصائص فنية مميزة ترفعه إلى درجة عالية من درجات الأدب الرفيع .

لذا كان القصد إلى دراسة قصائد الديوان من جانبَى الرؤية الفكرية والتشكيل الفنى فى هذا البحث المعنون بـــ (ملامح الرؤية والتشكيل فى ديوان دموع المحبين فى وداع الرنتيسى وأحمد ياسين لمجموعة من الشعراء العرب) .

وقد جاء البحث بعد هذه المقدمة فى تمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة :

أما التمهيد : فقد جاء عنوانه : الشهيدان : (أحمد ياسين) و (عبد العزيز الرنتيسى) : مسيرة حياة ورحلة كفاح .

وأما المبحث الأول فعنوانه :ملامح الرؤية الفكرية فى قصائد رثاء الشيخ (أحمد ياسين) .

والمبحث الثانى عنوانه : ملامح الرؤية الفكرية فى قصائد رثاء الشهيد (الرنتيسى) .

والمبحث الثالث عنوانه : ملامح التشكيل الفنى فى قصائد الديوان .

أما الخاتمة : فتشتمل على خلاصة البحث وأهم نتائجه .

والله أسأل أن يجعل هذا البحث من قبيل العمل الخالص والعلم النافع ، إنه أعز مسئول وأكرم مأمول .

والله الموفق وهو الهادى إلى سواء السبيل

تمهيد

الشهيدان : (أحمد ياسين) و (عبد العزيز الرنتيسى)

مسيرة حياة ورحلة كفاح

أولا : الشهيد أحمد ياسين

- هو (أحمد إسماعيل ياسين) ولد سنة ١٩٣٨ م فى قرية (جورة عسقلان) قضاء (المجدل) شمالى قطاع (غزة) بفلسطين .
- بعد حرب سنة ١٩٤٨ م طُرد هو وعائلته من أرضه ، فنزح مع أسرته إلى قطاع (غزة) .
- فى عامه الثانى عشر تعرض لحادث أثناء ممارسته الرياضة نتج عنه شلل تام فى جميع أطرافه .
- سافر إلى (القاهرة) لدراسة اللغة العربية ثم عاد إلى (فلسطين) وعمل مدرسًا للغة العربية ، وخطيبًا فى مساجد (غزة) ، وبعد مدة يسيرة أصبح أشهر خطيب فى قطاع (غزة) .
- فى سنة ١٩٨٣ م حكم عليه الاحتلال الصهيونى بالسجن لمدة ثلاثة عشر عامًا ، لكنه أفرج عنه بعد أحد عشر شهرًا فقط فى صفقة لتبادل الأسرى .
- فى سنة ١٩٨٧ م اتفق الشيخ (أحمد ياسين) مع مجموعة من قادة العمل الإسلامى فى قطاع (غزة) على تكوين جبهة إسلامية لمحاربة الاحتلال الصهيونى ، وتحرير فلسطين أطلقوا عليها اسم (حركة المقاومة الإسلامية) المعروفة اختصارًا باسم (حماس) ، وقد بدأت الحركة نشاطها بالانتفاضة الفلسطينية الأولى التى اندلعت آنذاك والتى اشتهرت بانتفاضة المساجد ، ومنذ ذلك الحين والشيخ (أحمد ياسين) يُعَدّ الزعيم الروحى لحركة (حماس) .

● فى ١٨ / ٥ / ١٩٨٩ م اعتقلته قوات الاحتلال الصهيونى مع المئات من أبناء حركة (حماس) فى محاولة لوقف المقاومة ، وفى ١٦ / ١٠ / ١٩٩١ م أصدرت محكمة عسكرية صهيونية حكمًا عليه بالسجن مدى الحياة ، لكنه أفرج عنه فى ١ / ١٠ / ١٩٧٧ م مقايضة مع بعض العُملاء الذين تم القبض عليهم فى محاولة فاشلة لاغتيال (خالد مشعل) رئيس المكتب السياسى لحركة (حماس) .

● بعد خروجه من السجن استمر الشيخ فى قيادته لحركة (حماس) وتوحيد الصف الفلسطينى ، ومواجهة العدوان .

● فى ١٣ / ٦ / ٢٠٠٣ م تعرَّض الشيخ لمحاولة اغتيال عندما قامت طائرة صهيونية بإلقاء قنبلة تزن ربع طن على أحد المبانى فى قطاع (غزة) حيث كان الشيخ فى زيارة لأحد أصدقائه ، فأصيب بجروح يسيرة نتيجة القصف ، وقد أعلنت الحكومة الصهيونية أن اغتيال الشيخ (ياسين) كان الهدف من العملية الجوية .

● بالإضافة إلى إصابته بالشلل التام ، فقد كان الشيخ يعانى من أمراض عديدة منها : فقدان البصر فى العين اليمنى بعد ضربه عليها أثناء التحقيقات الصهيونية معه ، وضعف شديد فى الإبصار بالعين اليسرى ، والتهاب مزمن بالأذن ، وحساسية فى الرئتين ،وأمراض والتهابات باطنية معوية .

● كانت أغلى الأمنيات لدى الشيخ أن يموت شهيدًا ، فهو الذى طالما هتف : " الموت فى سبيل الله أسمى أمانينا " ، وفى آخر اللقاءات الصحفية سُئل : ما هى أمنيتك ؟ فرد قائلاً : " أتمنى أن أموت شهيدًا " .

● وقد شاء الله (عز وجل) أن يحقق للشيخ أمنيته ، ففى فجر الاثنين غرة صفر ١٤٢٥ هـ الموافق ٢٢ مارس ٢٠٠٤ م وأثناء خروج الشيخ من مسجد المجمع الإسلامى الكائن فى حى (الصبرة) بقطاع (غزة) بعد صلاة الفجر أطلقت مروحية عسكرية صهيونية ثلاثة صواريخ تجاه الشيخ المُقْعَد وهو فى طريقه إلى سيارته مدفوعًا على كرسيه المتحرك من قِبل مساعديه فتحول جسده الطاهر إلى أشلاء .

● وشيع مئات الآلاف من أبناء قطاع (غزة) شهيدهم فى أعظم موكب عرفته (غزة) فى تاريخها ، وقبيل المغرب وارى التراب جسده الطاهر ليلقى الله راضيًا عنه غير غضبان * .

(*) راجع ترجمة الشهيد (ياسين) فى كتاب (قصة كفاح الشيخ أحمد ياسين) ص ٤ - ٢٣ - دار طيبة للطباعة والنشر ٢٠٠٤ م ، وشبكة المعلومات الدولية (Internet) - موقع :
WWW.wikipedia .org

ثانيا : الشهيد : عبد العزيز الرنتيسى :

- هو (عبد العزيز على عبد الحفيظ الرنتيسى) ولد فى ليلة الثالث والعشرين من شهر أكتوبر سنة ١٩٤٧ م فى قرية (يبنا) الواقعة بين (عسقلان) و (يافا) بفلسطين .
- بعد حرب سنة ١٩٤٨ م نزحت أسرته إلى قطاع (غزة) واستقرت فى مخيم (خان يونس) للاجئين ، وكان عمره وقتها ستة أشهر .
- قبل أن يتم عامه السادس توفى والده ، فاضطرته ظروف أسرته الصعبة إلى العمل فى هذه السن المبكرة إلى جانب دراسته فى مدرسة ابتدائية تابعة لوكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين .
- كان (الرنتيسى) متفوقًا فى دراسته ، حيث أتم دراسته الثانوية بتفوق سنة ١٩٦٥ م مما أهّله لنيل منحة دراسية بكلية الطب – جامعة الإسكندرية ، وقد تخرج فيها سنة ١٩٧١ م ، وعاد إلى قطاع (غزة) ليعمل طبيًا للأطفال بمستشفى (ناصر) فى (خان يونس) .
- فى سنة ١٩٧٣ م تزوج (الرنتيسى) ،وقد أنجب ستة أطفال : ذكرين وأربع إناث .
- فى سنة ١٩٧٦ م حصل على درجة (الماجستير) فى طب الأطفال من جامعة الإسكندرية ، ثم عاد للعمل بمستشفى (ناصر) .
- قامت سلطات الاحتلال الصهيونى باعتقاله فى سنة ١٩٨٢ م بسبب رفضه دفع الضرائب ، وذلك بعد أن خاضت الجمعية الطبية الفلسطينية إضرابًا دام ثلاثة أسابيع ، وكان (الرنتيسى) أحد قادة هذا الإضراب .

- فى سنة ١٩٨٧ م شارك (الرنتيسى) فى تأسيس حركة المقاومة الإسلامية (حماس) .
- فى ١٥ / ١ / ١٩٨٨ م تم اعتقاله من قِبل الاحتلال ثم أُفرج عنه بعد ٢١ يومًا ليعود مرة أخرى فى ٤ / ٣ / ١٩٨٨ م وظلّ محتجزًا لمدة سنتين ونصف ، حيث تم إطلاق سراحه فى ٤ / ٩ / ١٩٩٠ م ، وفى هذه المدة كان يُمنع من النوم لمدة أيام طويلة ، وقد وُضع فى ثلاجة لمدة أربع وعشرين ساعة .
- فى ١٧ / ١٢ / ١٩٩٢ م تم إبعاده مع أكثر من أربعمائة من أعضاء حركة (حماس) إلى مخيم (مرج الزهور) بجنوب لبنان ، وكان (الرنتيسى) هناك المتحدث الرسمى باسم المُبعدين .
- بعد عودته من (مرج الزهور) تم اعتقاله مرة أخرى لمدة ثلاث سنوات ونصف ليفرج عنه فى ٢١ / ٤ / ١٩٩٧ بعد انتهاء مدة الحكم .
- بعد خروجه من المعتقل باشر دوره فى قيادة حركة (حماس) إلى أن قُبض عليه مرة أخرى فى ١٠ / ٤ / ١٩٩٨ م ، وأفرج عنه بعد خمسة عشر شهرًا بسبب وفاة والدته ، وقد تم اعتقاله بعد ذلك ثلاث مرات ولم يُفرج عنه إلا بعد أن خاض إضرابًا عن الطعام .
- عمل (الرنتيسى) جنبًا إلى جنب مع الشيخ (ياسين) فى قيادة حركة (حماس) ، وبعد اغتيال الشيخ فى ٢٢ / ٣ / ٢٠٠٤ م بُويع (الرنتيسى) خليفةً له .
- كان (الرنتيسى) خطيبًا مفوّهًا ، وشاعرًا مجيدًا ، ومن قصائده الشهيرة قصيدة (قم للوطن) التى يقول فيها :

قم واصنع التاريخ وارفع هامةً ∴ قد لطّخ التاريخ أذنابُ الدونْ

وارقَ الشدائدَ ترقَ أبوابَ العُلا ∴ ودعِ السفوحَ ، فمن يَهُنْ أبدًا يَهُنْ

* منذ مبايعته خليفة للشيخ (ياسين) امتنع (الرنتيسى) عن الذهاب إلى بيته فى حى (الشيخ رضوان) بمدينة (غزة) ، وكان يعيش فى مقارّ سرية آخذًا أعلى درجات الحيطة والحذر ، لكن الحذر لا ينجى من القدر ، ففى مساء السبت السابع عشر من أبريل سنة ٢٠٠٤ م قامت مروحية إسرائيلية بإطلاق صاروخين على سيارة كان يستقلها (الرنتيسى) فاستشهد على الفور مرافق له ، وابن له يسمى (محمد) ، ثم لحقهم الشهيد بعد قليل وهو على سرير المستشفى فى غرفة الطوارئ * .

رحم الله الشهيدين ، وجمع بينهما فى جنات وفهر ، فى مقعد صدق عند مليك مقتدر .

(*) راجع ترجمة الشهيد (الرنتيسى) فى جريدة الأسرة العربية - عدد ٩ ربيع الأول ١٤٢٦ هـ الموافق ١٨ أبريل ٢٠٠٥ م ص ١٠ ، ١١ - وشبكة المعلومات الدولية (Internet) - موقع : WWW.wikipedia .org

المبحث الأول

ملامح الرؤية الفكرية فى قصائد رثاء الشهيد (أحمد ياسين)

الملمـــح الأول : تصوير فجيعة الأمة فى فقد الشيخ :

كانت حادثة اغتيال الشيخ (أحمد ياسين) خطبًا له وقعه الشديد على نفوس الأمة ؛ فالشيخ يُعَد رمزًا من رموز الكفاح الفلسطينى ، بل إنه الأب الروحى للمقاومة ، وموته يعنى ضياع الرمز ، وغياب القائد ، وافتقاد القدوة ، كما كان لظروف استشهاد الشيخ أثرها فى مضاعفة مشاعر الحزن واللوعة ، فهو شيخ مُقْعَد ملازم لكرسيّه المتحرك ، وقد أضناه المرض وهدّته الأسقام ، وعلى الرغم من ذلك كان حريصًا على أداء صلاة الفجر جماعةً فى المسجد ، وبعد أدائه تلك الصلاة فى أحد الأيام اعتدت عليه قُوى البغى بكل ما أُوتيت من أسلحة فتاكة حتى تركته صريعًا .

وقد أبان الشعراء عن أحاسيس الأسى التى تأججت فى الصدور لفقد الشيخ ، فالشاعر (أحمد عبد الجواد) ينقل إلينا بعضًا من هذه المشاعر المضطرمة التى جاوزت البشر لتشمل كل مفردات الطبيعة ؛ فالسماء والأرض تبكيان ، وأشجار التين والزيتون تذرف الدمع الهتان ، والمسجد الأقصى يئن ، وبقاع فلسطين تصرخ ، والمسلمون أجمعون فى حزن مُضْنٍ ، وحسرة بالغة :

الأرض تبكـــى والســـما والـــتينُ ∴ والدمع يذرفه - هنا - الزيتـــونُ

والمسجد الأقصى المبـــارك حولـــه ∴ يبكـــى لـــه فى العـــالمين أنـــينُ

تبكيك (غزة) و (الخليل) بحرقـــة ∴ تبكيك يا رمز الفداء (جـــنينُ)

يبكيك كـــل العـــارفين جهـــادكم ∴ كلٌّ عليك - أيا حبيب - حزينُ[1]

(١) ديوان (دموع الحنين فى وداع الرنتيسى وياسين) مجموعة من الشعراء العرب ص ١١ - سلسلة (على طريق النصر) - العدد الأول يولية ٢٠٠٤ م .

لقد كانت القصائد المنظومة فى رثاء الشيخ أشبه بالنواح الصارخ الذى تفجره الآهات ، وتبعثه الآلام ، وكأنّ ألفاظها صيغت من الدموع ، وكلماتها كُتبت من نزف الجراح .

يقول الشاعر (عبد الله كامل) [1] :

لا أنظـــم الأشـــعار إلا نائحًـــا ∴ حـــتى كـــأنى أتعـــس الشـــعراء

وكأن شعرى لا يفجره سوى الـــ ∴ آهـــــات والآلام والأدواء

(ياسين) ، لو كان العويل يعيدكم ∴ لبذلت من بعد الدموع دمـائى

يا شيخ ،صغتُ من الدموع قصيدتى ∴ وكتبت من نزف الجراح رثـائى

والشاعر (عمر الشافعى) واحد من أولئك الشعراء الذين أثار فيهم فقد الشيخ ألمًا يحطم الروح ، وأسال منهم دموعًا تغرق الوجه ، وترك قلوبهم يقطعها الحزن ، ونفوسهم يسلوها الصبر .

لقد ألهبت حادثة اغتيال الشيخ صدر الشاعر ، وحرّكت وجدانه ، فآزر دماء الشيخ التى سالت على الأرض طيبًا بدماء سالت من فمه شعرًا حزينًا نازفًا :

ألمٌ علـــى ألم يحطّـــم مهجـــتى ∴ ويصـــيح فى جنباتهـــا : أواهُ

والـــدمع رقراقًـــا يســـير بـــوجنتى ∴ والقلـــب مُـــزق بالأســـى ربـــاهُ

النفس ما عـــادت تطيـــق تصـــبُّرًا ∴ فالسيل قد بلغ الزُّبى ، وعداهُ [2]

---

(١) الديوان ص ٣٠ .

(٢) فى المثل العربى " بلغ السيل الزبى " وهو يضرب لمجاوزة الحد . والزُّبى جمع زُبية وهى رابية لا يعلوها الماء ، فإذا بلغها السيل كان جارفًا . (انظر : مجمع الأمثال للميدانى ١ / ١٥٨ - تحقيق / محمد أبو الفضل براهيم - دار الجيل - بيروت - لبنان - الطبعة الثانية ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م) .

سالت دماؤك يا شـــهيدُ ، فألهبـــتْ ∴ صدرى بـــنيران طـــوتْ أرجـــاءَهْ

سالت دماؤك من فمى شعرًا حزيـــ ـــنًا نازفًا،والـــزف كم أعياهُ ![1]

وقد استعان الشاعر على إبراز أحاسيس الألم والحسرة بما استخدمه من ألفاظ موحية مثل كلمة " ألم " التى تكررت للدلالة على تضاعف ذلك الألم وتفاقمه فى نفسه ، وكلمة " يحطّم " التى توحى بالأثر الفاتك لهذا الألم فى روحه ، وكلمتى " يصيح " و " أواه " اللتين توحيان بالحزن البالغ الذى يصل بصاحبه إلى درجة الصراخ ، وكلمتى " الدمع " و " الأسى " اللتين توحيان بالحزن الشديد ، وكلمتى " ألهبت " و " نيران " اللتين توحيان بمعانى العذاب والحرقة ، وغير ذلك .

والشاعر (يوسف الشريف) يحدّثنا عن مشاعر الحزن المتأججة فى صدره ، ذلك الحزن الذى يحس معه بالحاجة إلى مواساة المواسين ، ودموع الباكين ، وهو يطلب الدموع وهو يعلم عدم جدواها فى استرجاع مَنْ ذهب ، وينظم القصائد التى لا تشفى ما بقلبه من هَمٍّ مُدْمٍ ، وحزن قتّال ، لكن الشيخ الشهيد أهل لأن يبكيه الوطن ، وتندبه الأمة ، وترثيه الكلمات . يقول الشاعر [2] :

يا حـــادى العـــيس عـــرج كـــى تواســـينا ∴ واذرف دموعًا على الأطلال تشـــجينا [3]

ورجِّـــع اللحـــن فى آلـــات قـــافيتى ∴ وهـــات شـــدوك بالآهـــات محزونـــا

---

(١) الديوان ص ٥٩ .

(٢) الديوان ص ٥٩ .

(٣) العيس : كرام الإبل .

يا حادى العيس هل تجدى مدامعنا ؟

وهل يعيد بكاء العين (ياسينا) ؟

ماذا أقول وأناتى تحاصرنى ؟

ماذا أسطّر والأوجاع تطوينا ؟

ماذا يقول قصيدى حين أنظمه ؟

والقلب منفطر والهم يدمينا

أبكيك (ياسين) أم أبكى مواجعنا ؟

أم أنك اليوم فى الفردوس تبكينا ؟

فلتبك يا أمتى ، ولتبك يا وطنى

ولتبك يا أحرف فَقْدَ المحبينا

الملمح الثانى : تخاذل الموقف العربى وضعف الأمة :

كثيرًا ما يشير الشعراء فى قصائد رثاء الشيخ (ياسين) إلى ضعف الأمة الإسلامية وتخاذل الموقف العربى ، ويرجعون إلى هذا وذاك تجرؤ اليهود المهين على اغتيال الشيخ هذا النحو البشع .

يقول الشاعر (شريف جاد الله) ناعيًا على الوطن رضاه بالذل واستلامه للخضوع [1] :

عَزَّ البكاء ودمع العين يعصينا ∴ والشعر يبكى أسيًا فَقْدَ (ياسينا)

عزت مدامعنا ، زادت فجيعتنا ∴ والصبح أعمى الرؤى يبكى فيكينا

يا للبكاء ! وجرح القلب يوجعنى ∴ وعَزَّ فى موطنى طبٌّ المداوينا

كأن موطننا نشقى بعزته ∴ قد كفنوا عزتى ، والحزن يكفينا

ما زلت يا وطنى ترضى بذلتنا ∴ وكلُّ أرضك جرحٌ واسع فينا

لقد كان الوطن العزيز باستكانته سببًا فى شقاء أهله ، وأصبحت بقاعه الفسيحة جراحًا غائرة فى صدور أبنائه ، هؤلاء الأبناء الذين صاروا - فى نظر الشاعر - جباء يستعذبون الذل ، ويدمنون البكاء ، ولا تستيقظ عيونهم الهاجعة على دماء الأطفال ولا على هذا المشهد الرهيب لاغتيال الشيخ القعيد :

وأعينُ الجبناء اليوم نائمةٌ ∴ تستعذب الذل من أشقى أعادينا

يا عين كلّ جبان لا تؤرقها ∴ دماء أطفالنا تنعى أمانينا

فى كلّ يوم لنا نبكى بأدمعنا ∴ فجفّ دمع الأسى يدمى مآقينا

لكن (ياسين) عاد اليوم يوقظنا ∴ من رقدة الموت كاد اليأس يردينا [2]

---

(١) الديوان ص ١٩ .

(٢) الديوان ص ١٩ .

ويهيب الشاعر بأمته أن تفيق من سُباتها ، وأن تنتصر لكرامتها ، لكنه لا يجد من يُجيبه سوى صدى صوته المخنوق ، فلا يملك إلا أن يتحسَّر على مجد أمته الذاهب ، وعزِّها الغابر ، وأبطالها الراحلين :

يا قلب أمتى الخفّاق من ألمى ∴ لملم شتاتَ دموعى غزَّ باكيها

يا دمع ، يا دمع ، لا ردَّ سأسمعهُ ∴ سوى صدى صوتى المخنوق ناعيها

فكل راياتنا قد أصبحت مزقًا ∴ وأطفأوا المجد فى أعلى نواصيها

ماذا تبقى لنا من مجد أمتنا ∴ لم يبق إلا الذى ما عاد يُعلينا

يا أرض كل بلادى ، هذه كتبى ∴ مدادها عن دم الأبطال ينبينا

(ياسين) يا آخر الأبطال معذرةً ∴ جفَّ المدادُ ، وكاد الدهر يطوينا [1]

وقد اختلف الشعراء فى تحليل هذا الموقف السلبى لأبناء العروبة وإمكان تغيره ، فمنهم من يبدو متشائمًا ويرى أن هذه السلبية لن تتغير ، وأن على أبناء فلسطين أن يعتمدوا على أنفسهم فى دحر عدوهم ، ومن هؤلاء الشاعر (محمد الشهاوى) الذى يخاطب أطفال الحجارة حاثًا إياهم على التحلّى بالصبر والأمل ، ويحذرهم أن يعقدوا على إخوانهم العرب أملاً ؛ فإن هؤلاء لن يفيقوا من سُباتهم العميق ، بل من موقفهم المهين . يقول (الشهاوى) [2] :

يا كل شبل فى (فلسطين) الفدا ∴ يلقى الردى فى عزة وثبات

متمنطقًا أملاً أبيًا ، لا يرى ∴ فى الموت إلا غاية الغايات

لا ترجُ عونًا غير عزمك مُدْرِكًا ∴ ما فيه شرفك من عمىً وممات

(١) السابق ص ١٩ ، ٢٠ .

(٢) السابق ص ٥٣ .

(أبناء يعرب) لا تقلها بعد ما ∴ سرنا فلولاً من قذى وسبات [1]

خمسون عامًا أو يزيد [2] وأنت فى ∴ جُبِّ العذاب ، ونحنُ فى الخانات

خمسون عامًا أو يزيد وكلنا ∴ لاه ، وأنت تصيحُ بالصرخات

لا بأس ، وانس سوى الحجارة إنها ∴ أحمى عليكم من لمع قنات [3]

ولتعتصم بحبال عزمك موقنًا ∴ أن الصباح - وإن تأخر - آت

أنت الوحيد الحىُّ فى أمم غدت ∴ رغم الحياة لعبدُ فى الأموات

لكنَّ هذا الموقف المتشائم يستحيل لدى بعض الشعراء إلى بعيص من الأمل والتفاؤل كما هو الحال فى قصيدة (يا فارس الكرسىّ) للشاعر (عبد الرحمن العشماوى) الذى يُنبئنا عن أمله فى أن يجتمع شتات الأمة ، وأن يخرج منه مَنْ يوحِّد الصفَّ ، ويجمع الكلمة ، ويحطم أوثان الفرقة :

يا (أحمد الياسين) إن ودعتنا ∴ فلقد تركت الصدق والإيمانا

أنا إن بكيتُ فإنما أبكى على ∴ عليارنا لما غدوا قطعانا

أبكى على هذا الشتات لأمتى ∴ أبكى الخلاف المر والأضغانا

أبكى ولى أمر كبير أن أرى ∴ فى أمتى من يكسر الأوثانا [4]

(١) القذى : ما يكون فى العين من أوساخ .

(٢) هى مدة الاحتلال الصهيونى لفلسطين والذى بدأ سنة ١٩٤٨ م ، وقد كتبت هذه القصيدة عام ٢٠٠٠ م فتكون المدة التى يعنيها الشاعر سنة وخمسين عامًا .

(٣) القنات : الذى يتسمع كلام الناس من حيث لا يعلمون .

(٤) الديوان ص ٢٨ .

الملمح الثالث : نضال الشيخ وعطاؤه :

كثيرًا ما نرى الشعراء الذين رثوا الشيخ يعرجون على تصوير نضاله وجهوده فى خدمة المقاومة الفلسطينية ، ويؤكدون على أنه الأب الروحى للمقاومة ، وحامل لوائها ، والقدوة التى يسير الفلسطينيون على درها .

فالشاعر (حسن على عثمان) يُبدى إعجابه الشديد برحلة كفاح الشيخ ، ومسيرة حياته التى كانت أعجوبةً من أعاجيب الدنيا .

فهو شيخ أعزل مُقعد ، لكنَّ الله (عز وجل) ألقى عليه المهابة ، ووهبه عزمًا حديدًا ، فكلامه نار تنصب فى مسامع أعدائه ، ونور يهدى إلى الدرب عزائم أتباعه ، هؤلاء الأتباع الذين تعلّموا منه أن الحياة شجاعة ، وأن الجُبن هو عينه الموت الحقير ، كما تلقوا على يديه دروس العزة والتضحية والفداء . يقول الشاعر [1] :

أعجوبةً كانت حياتك سيدى ∴ رجلٌ قعيدٌ أعزلٌ وجسورُ
إن قال يرتعد العدو مهابةً ∴ فكلامه فى مسمعيه سعيرُ
عزمٌ حديدٌ لا يخاف منيَّةً ∴ أبدًا ، ولم يلعب به التحذيرُ
فى وجهه نورٌ وملء يقينه ∴ أملٌ بأنَّ عدوَّه مقهورُ
فالليل مهما طال حتمًا ينتهى ∴ ولسوف يشرق فى الوجود النورُ
علمتنا يا سيدى معنى الرضا ∴ وحمدت ربك فالتقىُّ شكورُ
علمتنا أن الحياة شجاعةٌ ∴ والجبن موتٌ أسودٌ وحقيرُ
علمتنا أن الفداء كرامةٌ ∴ ودمُ الشهيد على المدى منصورُ

---

(١) السابق ص ١٤ ، ١٥ .

حقًا لقد كانت حياة الشيخ واحدة الأعاجيب ، فهو شيخ قعيد ، رجلاه لا تستطيعان حراكًا ، لكن قلبه سريع العَدْو ، يعدو ليجوب آفاق البلاد داعيًا إلى الله ، وحافزًا لهمم المسلمين .

لقد واجه الشيخ الصعاب ، وخاض السجون ، لكنه لم يَنِ ، ولم يتراجع ، بل مضى فى طريقه يكافح البغى ، ويرسم الطريق للحائرين .

يقول الشاعر (أحمد عبد الجواد) [1] :

يا أيها البطلُ القعيدُ ، وقلبهُ ∴ جابَ البلادَ ، وهمُّهُ ذا الدينُ
يسعى لنصرته لتطهر أرضهُ ∴ فالعزُّ للدين الحنيف قرينُ
خضتَ السجونَ ، فلم تلن لطغاتها ∴ هل مثلكم للباطشين يلينُ ؟
قد عشت للبُهُت [2] اللئام مجاهدًا ∴ ما دنَّس الشرف الرفيع ركونُ [3]
من وجهك الوضاء أنوارٌ سرتْ ∴ يُهْدَى بها المتحيِّرُ المفتونُ

كان الشيخ مفخرةً للإسلام ، وكوكبًا لامعًا فى سمائه ، وجبلاً راسيًا فى روعه ، ودرّة نفيسة فى عقده ، وشمسًا ساطعة تضىء آفاقه .

حمل الشيخ لواء الكفاح ، ورسّى جيلاً كاملاً من أبنائه على العزة والكرامة ، يضىء لهم الطريق ، ويغرس فيهم بذور التضحية والفداء . يقول الشاعر (عمر الشافعى) [4] :

(ياسين) يا رمز الفخار وعزة الـ ∴ إسلام ، يا طيفًا يسير سماءُ
يا أيُّها الجبل الأشمُّ بدينه ∴ يا درّةَ الإسلام ، شمس ضحاءُ

---

(١) الديوان ص ١١ .
(٢) البُهت : جمع بَهوت ، وهو من يبدى الدهش بالناظر .
(٣) الديوان ص ٤١ .

يا حاملاً رايات جيل كرامة ∴ يا طائرًا يرنو إلى مأواه

يا لفحة من ريح خير معلم ∴ يا نسل صحب (محمد)* ، بشراهُ

ربيت بالإسلام جيلاً شامخًا ∴ شيَّدتَ سؤدد ديننا وعلاه [٢]

وأضأت نبراس الهدى لجهادنا ∴ وغرستَ فينا قهر ما نأباهُ

كم عشتَ فينا ناصحًا ومربيًا ∴ وبما فعلت بكى العدوُّ دماهُ

علمتنا أن الجهادَ سبيلنا ∴ أورثتنا عزًا جزاك الله

والشاعرة (محبوبة هارون) ترسم لنا صورةً مشرقةً لحياة الشيخ وكفاحه ، فقد تعالى الشيخ فوق عجزه المُقْعد ، وأسقامه المضنية ، وكان رمزًا للشموخ ، ومثالاً للصبر والكفاح .

لقد بثَّ الشيخ فى أبناء وطنه روح الفداء ، وعلمهم درس الإقدام ، فشبُّوا على الشجاعة ، ونشأوا على الكرامة ، يتوقون للشهادة ، ولا يرهبون الموت ، سواء فى ذلك البنون والبنات :

ما كنت يومًا عاجزًا بل شامخًا ∴ رغم القيود تبدِّد الأسقاما

وعن الإله قضيت نحبك راضيًا ∴ فى ثُلَّة قد زادها إكراما

أنعم بمثلك صابرًا ومكافحًا ∴ فجهادك الميمون ليس كلاما

روح الفداء زرعتها ، ورويتها ∴ وصنعت جيلاً يعشق الإقداما

ليس الفتى منذ الطفولة ، وارتدى ∴ ثوب الشهادة لا يخاف حماما

(*) (صلى الله عليه وسلم) .

(٢) السؤدد : الشرف .

فالأم أرضعت الوليد كرامةً ∴ تُهديه منا آية وحساما

أما البنات ففى سباق للفدا ∴ يغزلن من أحلامهن سهاما [١]

إن قصة كفاح الشيخ ورحلة عطائه لم تنتهِ باستشهاده ، فإنه سيظل - رغم رحيله - مصباحًا يضيء الطريق ، وشعلة تبدد الظلام ، وستظل روحه الطاهرة تحوم حول المسجد الأقصى ، تحارب أعداءه ، وتحمى جنباته ، وتحرس المصلين فى ساحاته . تقول الشاعرة [٢] :

أضحيت مصباحًا تنير دروبهم ∴ رغم الرحيل فقد قهرت ظلاما

يا أيها الشيخ الشهيد تحية ∴ ستظل روحك تغرس الألغاما

فى درب كل مكابر متغطرس ∴ وتحيل حلم الغاصبين حطاما [٣]

وتظل حول القدس تحمى مسجدًا ∴ وتظل تحرس سُجَّدًا وقياما

(١) الديوان ص ٤٣ .

(٢) السابق : الصفحة نفسها .

(٣) المتغطرس : المتطاول المتكبر على أقرانه .

الملمح الرابع : شوق الشيخ للشهادة :

كان الشيخ يتوق للشهادة ، ويشتاق لأن ينال منزلة الشهيد ، وكان يرى أمام عينيه أشباله الماضين يتسابقون لنيل هذا الوسام الرفيع ، فينالونه ، وكان يرى مواكب الشهداء تزفهم جموع المودعين إلى رضوان ربهم ، فكان يغبطهم ويطمع فى أن ينال أجرهم ، لسان حاله : ﴿ يَا لَيْتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (١) .

لكن الظروف الصحية للشيخ لا تمكنه من حمل السلاح ، ولا تتيح له فرصة الاشتباك مع العدو ، فكيف ينال هذه الدرجة ؟ ! .

إن إرادة الله لا تحدها حدود ، وعطاءه لا تمنعه موانع ، فيشاء القادر أن يحصل الشيخ على الوسام وهو جالس على كرسيه ، فينال الشهادة ويحظى بالنعيم .

وقد صوَّر الشعراء هذا الشوق للشهادة فى نفس الشيخ ، وهذه الرغبة المُلحَّة فى نيل منزلة الشهيد . يقول الشاعر (صلاح المصرى) (٢) :

أبناؤه يتهافتون على الشهادة مؤمنين بأنها الحل الوحيدْ
وتتابع الشهداءُ أفواجًا تودِّعهم إلى رضوان مولانا حشودْ
والشيخ يهفو للّحاق بركبهم ∴ يرجو الشهادةَ ذلك الشيخ القعيدْ
فحباه سيده الشهادة راضيًا ∴ عن جهده المشكور مولاه المجيدْ
لو يعلم الباغون منزلة الشهيد لما ارتضوه لنا ختامًا يا شهيدْ
فاهنأ بفردوس الجنان مُنعَّمًا ∴ واعلم بأن كتائب الأقصى أسودْ
يا شيخ (أحمد) ، ما افتقدنا غير جسمك ؛ إذ لروحك فى كتائبنا وجودْ

---

(١) من الآية ٧٣ – سورة النساء .

(٢) الديوان ص ٢٢ .

وعزاؤنا وعزاء كلّ مجاهد ∴ فيك الحصول على (الشهادة)(١) يا شهيد(٢)

والشاعر (أحمد عبد الجواد) يحدِّثنا عن شوق الشيخ للاستشهاد ، وتوقه لجنان الخلد ، بالقدر الذى هانت معه الحياة فى عينه ، ولا يزال على ذلك حتى اصطفاه الله (عز وجل) شهيدًا ، فكان موته رمزًا لموت الصادقين المخلصين . يقول فى ذلك (٣) :

قد عشتَ تقطع كلّ عذر صاغَهُ ∴ ليفرَّ من وجه العدا مأفونُ (٤)
وفقهتَ درسًا من (براءة) ، (٥) فانبرتْ ∴ تبرانُ شوقكَ للجنان تَمونُ (٦)
فى حبِّها هذى الحياةُ وما بها ∴ نعم التجارةُ قد قلاها الدونُ
كم حاول البغىُ الرخيصُ ، فأخفقوا ∴ حتَّى عراهُ من السعار جنونُ
حتى اصطُفيتَ فكان موتك آيةً ∴ وكذاكَ موتُ الصادقين يكونُ

---

(١) فى كلمة (الشهادة) تورية ، فالمعنى القريب لها : الإجازة العلمية ، ويؤيده كلمة (الحصول) ، وهذا غير مراد ، والمعنى البعيد : رتبة الشهيد ، وهو المراد .

(٢) كرَّر الشاعر كلمة القافية بلفظها ومعناها بعد بيتين فقط ، وليس هذا عيبًا – هنا – ، لأنهم استحوا من الإبطاء ما وجد الشاعر لذةً فى تكراره . (انظر : المعجم المفصل فى علم العروض والقافية وفنون الشعر – إعداد / إميل بديع يعقوب – ط دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى ١٤١١ هـ / ١٩٩١ م) .

(٣) الديوان ص ١١ .

(٤) المأفون : من نقص عقله .

(٥) يقصد قوله تعالى فى سورة التوبة : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ﴾ (من الآية ١١١) .

(٦) هذا البيت تعلقت قافيته بما بعده ، حيث البيت الذى بعده جاء فاعله فى البيت التالى ، وهذا أمر يجيزه علماء القافية ويلقبونه بالتضمين . (انظر : المعجم المفصل فى علم العروض والقافية وفنون الشعر ص ٣٧١) .

كان الشيخ يردِّد طوال حياته عبارة : " أملى أن يرضى مولانا " ، ورضَى المولى (عز وجل) يكون بالشهادة التى تكفل لصاحبها أعلى الدرجات، وتبوؤه أسمن المنازل ، ومن ثم اشتاق (ياسين) لهذه المرتبة ، وكان حريصًا عليها حتى أكرمه الله (عز وجل) بنوالها . يقول الشاعر (على متولى) [1] :

يـا شـيخ المجـد ، وقائـدنا ∴ لإبـاء عَـزَّ بوادينـا

مثلـك مـا مـات بحلبتـها ∴ بـل أحيـا عزَّهَـا فينـا

(أملـى أن يرضـى مولانـا) ∴ قـد كـانَ هتافـك يُشـجينا

كـم كنـتَ تُرجِّيهـا أمـلاً ∴ لشـهادة صـدق تُعلينـا

(ياسين) ، ظفرت بها ، فاهنـأ ∴ سـتظلُّ النَّبْـعَ تروِّينـا

إن لقب الشهيد جائزة حصل عليها الشيخ بعد سباق طويل مع العدو استغرق حياته جميعها ، ومن عجبٍ أن أعداءه هم الذين منحوه تلك الجائزة ، بينما رضوا لأنفسهم بالخسران ، فقد قتلوه غدرًا يحسبون أنهم يرمونه بالنار ، وما دروا أنهم يبلّغونه - بفعلهم هذا - الجنة ، ويظنون أنهم يلحقون به الإساءة ، وما علموا أنهم يقدّمون له العزّة والإحسان . يقول (عبد الرحمن العشماوى) [2] :

هم أكسبوك من السباق رهانـا ∴ فربحت أنتَ ، وأدركـوا الخسـرانا

هم أوصلوك إلى مُناك بغـدرهمْ ∴ فأذقتـهم فـوق الهـوان هوانـا

إنى لأرجو أن تكـون بنـارهم ∴ - لما رموك بهـا - بلغـت جنانـا

---

(١) الديوان ص ٤٠ .

(٢) الديوان ص ٢٧ .

غدروا بشيبتك الكريمة جهـرةً ∴ أبْشِرْ ؛ فقد أرْدَتهم خـذلانا

أهل الإساءة هم ، ولكن ما دروا ∴ كم قدّموا لشموخك الإحسـانا

لقب الشهادة مطمحٌ لم تـدخر ∴ وسعًا لتحملـه ، فكنـتَ وكانـا

الملمح الخامس : تصوير مشهد اغتيال الشيخ والتنبيه على وحشية العدوان :

فى رثائهم للشيخ (ياسين) كان الشعراء يصوِّرون مشهد اغتيال الشيخ بوصفه جريمة نكراء تعكس عدوان مرتكبيها ووحشيتهم .

فذلك الشيخ الهرم المُقْعَد تضافرت لاغتياله القُوى ، وأُعدت النيران ، وأُطلقت الصواريخ ، مما ينم عن وحشية لا حدود لها .

يقول الشاعر (عبد الله شعبان) [1] :

(ياسين) قد غالوك دون عناء ∴ والغدر دومًا حيلة الجبناء

عجبًا لأمرك قاعدًا بل مُقْعدًا ∴ ويطير فكرك فوق كل فضاء

أثبتَّ أن العزم أعظم قوة ∴ لا قوة الأجسام والأعضاء

قتلوك بعد الفجر ، بعد صلاته ∴ وأمام بيت الله فى الظلماء

كم من صحاح يتركون صلاتهم ∴ من غير ما عذر ولا استحياء !

إن هذه الجريمة تتجلَّى وحشيتها من وجوه منها الحالة الصحيَّة للشيخ ، تلك الحالة التى تستوجب العطف والإشفاق لا القتل والعدوان ، ومنها زمان الحادثة حيث كانت (بعد الفجر) وهو وقت الأمن والسكينة ، ومنها مكانها فقد وقعت (أمام بيت الله) الذى لم يُراع المعتدون حرمته وقداسته ، كما أن الجريمة حدثت (فى الظلماء) مما يدلُّ على جُبن من اقترفوها .

والشاعر (عادل الكريمى) ينقل إلينا فى قصيدته (شهيد الكرامة) صورةً لهذا المشهد الرهيب الذى قتل فيه المجرمون الشيخ ، فاتخذوا جذوةً للإصرار ، وأطفأوا قنديلاً من الأنوار ، وأظلموا بدرًا من الأقمار .

---

(١) الديوان ص ٣١ .

لم يرقب المعتدون فى الشيخ إلاً ولا ذمة ، ولم يراعوا هيبةً ولا حرمة ، فلم يرقّوا لرأسه الذى علاه الشيب ، ولا لقدميه اللتين قيَّدهما العجز ، بل أغروا به الأسلحة الفاتكة حتى تساقط جسده الطاهر على الأرض ، فارتاع أديمها ، وبكت أشجارها . يقول الشاعر [1] :

قتلوك بعد الفجر والأذكار ∴ يا جذوة تقتاتُ بالإصرار

قتلوك يا أبتاه فى الأرض التى ∴ عرفتك قنديلاً من الأنوار

لما خرجتَ إلى الصلاة تربصوا ∴ كى يطفئوا قمرًا من الأقمار

لم يثنهم عنك المشيبُ وقدرهُ ∴ هل يعرفون جلالة الأقدار ؟ !

لم ينههم جَسَدٌ على كرسيِّه ∴ بل أمطروك بوابل من نار

وتساقط الجسدُ الكريم مُضرَّجًا [2] ∴ بدم زكىٍّ للشهادة جار

وارتاع وجه الأرض حين وطئته ∴ وبكتك حتى أغصن الأشجار

والشاعر (عبد الرحمن العشماوى) ينقل إلينا صورة اغتيال الشيخ فى قصيدته (يا فارس الكرسى) ناقلاً معها أحاسيس الأسى والنقمة على المعتدين ، وهو يعتمد فى ذلك على إحداث مفارقة ناشئة عن عرض مشهدين مختلفين فى الحالة الشعورية أحدهما داخل المسجد (والشيخ يصلى) حيث مشاعر الأمن والطمأنينة ، والآخر خارج المسجد (والشيخ يُغتال) حيث مشاعر الرعب والفزع .

ففى المشهد الأول نرى الشيخ وهو يرتل قرآن الفجر متأملاً متدبرًا ، ونراه وهو يصلى ويستغفر الله فى سجوده ، ونراه وهو يصطحب رفاقه إلى خارج المسجد وهم لا يظنون أنه الفراق .

---

(١) الديوان ص ٣٩ .

(٢) (مضرجًا) : يقال : تضرَّج بالدم أى تلطخ .

وفى المشهد الثانى يتبدل الأمن إلى رعب قاتل ، وتستحيل الطمأنينة إلى هلع مُدَوٍّ ؛ حيث نرى الشيخ صريعًا قد تمزّق جسده ، وتحوّل كرسيه إلى أشلاء تبكى فقده ، وتبقى شاهدًا عدلاً يُدين قاتليه . يقول الشاعر مخاطبًا الشيخ الشهيد [1] :

وثقت بـالله اتصـالك حينمـا ∴ صليتَ فجـرك تطلـب الغفرانـا

وتلوت آيات الكتـاب مـرتلاً ∴ متـأمّلاً تتـدبرُ القرآنـا

ووضعتَ جبهتك الكريمة ساجدًا ∴ إن السـجودَ ليرفـعُ الإنسـانا

وخرجت يتبعك الأحبّةُ ما دروا ∴ أن الفـراقَ مـن الأحبّـة حانـا

كرسيُّك المتحرك اختصر المـدى ∴ وطـوى بـك الآفـاق والأزمانـا

علمته معنى الإباء فلـم يكـن ∴ مثل الكراسى الراجفـات هوانـا

معك استلذ الموت ، صار وفاؤه ∴ مـثلا ، وصـار إباؤنـا عنوانـا

أشلاءُ كرسىّ البطولـة شـاهدٌ ∴ عـدلٌ يـدين الغـادر الخوّانـا

لكـأننى أبصـرت فى عجلاتـه ∴ ألمّـا لفقـدك لوعـةً وحنانـا

حزنًا ، لأنك قد رحلت ، ولم تَعُدْ ∴ تمشـى بـه كـالطّود لا تتـوانى

(١) الديوان ص ٢٧ ، ٢٨ .

الملمح السادس : استشهاد الشيخ يلهب المقاومة :

لقد ولّد الحزنُ الشديد لفقد الشيخ فى نفوس الشعراء لونًا من السخط والنقمة على قاتليه ، فنراهم يثورون ويتوعدون ، ويدعون إلى توحيد الصفوف وحشد القوى للثأر له ، ويؤكدون أن هذه الحادثة ستزيد من قوة المقاومة الفلسطينية ، وتضاعف جهودها .

فالشاعر (طلعت المغربى) فى قصيدته (سيظل جرحك نازفًا) يؤكد أن مقتل الشيخ ليس هو النهاية ، بل إنه البداية ، فإن موته ميلاد للمقاومة التى توحدت كتائبها ، واجتمعت عزائمها على الأخذ بثأر الشيخ ، وثأر الأمة . يقول (المغربى) [1] :

ظنُّوا بقتلـك أن تكـون نهايـة ∴ كـلاّ وربى ، إن هـذا المبتـدا

ظنُّوا بقتلـك أن تكـون نهايـة ∴ ضلُّوا ، وما عرفوا الطريق الأرشدا

خسئوا ، وما نالوا مناهم سيدى ∴ وغـدوت بـين العالمينـا مُسَـوَّدَا

هو ذاك مـيلاد المقاومـة الـتى ∴ بك تقتدى دومًا ، ونعـم المقتـدى

كلُّ الكتائب بعد موتك وُحّدت ∴ قد كان موتـك كالحيـاة مُوحِّـدَا

عهدًا سنأخذ ثأركم يا سـيدى ∴ ولنحنُ أصدقُ من يحقّـقُ موعـدَا

وقد استعان الشاعر على تأكيد فكرته باستخدام المفردات الدالّة على كذب القوم ووهمهم فى انتهاء المقاومة بقتل الشيخ مثل " ظنُّوا " التى تكررت مرتين ، و " ضلوا " ، و " خسئوا " وغيرها .

لقد ظن هؤلاء أن المقاومة رهن بقائدها ، فى حين أن الأمرَ ليس كذلك فكلُّ رجال المقاومة قادة مَنْ بقى منهم ومَنْ استُشهد ، فالحى قائد لنفسه وغيره للنضال ،

(١) الديوان ص ٢٤ .

والشهيد تلهب روحه حماس الأحياء فيهبون لمجابهة الشر ، ودحر الاعتداء بالعين دمائهم لرهم حاملين الردى لأعدائهم .يقول الشاعر (سامى السيد بدر) [1] :

وهنا بعضهم[*] بعضًا جهارًا ∴ وظنوا الأمر رهنًا بالقيادة

فلا يفرح أولاء بقتل شيخى ∴ فكلُّ رجالنا فى الحرب قادة

ومنهم من قضى نحبًا ، ولكن ∴ قبور الموت لا تهوى رقادة

ستبعث من رفاتهم انتقامًا ∴ ليجمع من سواعدنا عتادة

فيضرب فى رقاب الشرِّ سيفًا ∴ ويعلن فى الورى يومًا حدادة

سلوا التاريخ يا أوغاد عنا ∴ وعن(ياسين) يعطيكم إفادة

بأن دمائنا بيعت لربى ∴ وعهد البيع فى عنقى قلادة

وإن لكلِّ صهيون بأرضى ∴ ردًى لا يبتغى إلا جهادة

وعلى الرغم من أن الشيخ قد اغتيل فإنه سيظل حيًا يعيش فى عالمنا ، ستظلُّ روحه تعيش فى مشاعر الأمة ليشعل ثورةً فى وجه الظالمين ، وسيظلُّ صوته يعيش فى ضمائر القوم ليحدث فى الأسماع دويًا أقوى من الأعاصير والانفجارات .

إن الشيخ سيظل حيًا تصافحه الحياة ، وينحنى له هام الخلود ، سيظل حيًا ليشهد إباء الأمة وعزقا ، وعدم خضوعها إلا لله الواحد القهار . يقول الشاعر (عادل الكريمى) [2] :

قتلوك ؟ لا لم يقتلوك ، وإنما ∴ ستعيش رغم الجبن والأشرار

---

(١) الديوان ص ١٨ .

(٢) الشعر عالة على قاتلى الشيخ كما هو واضح .

(٣) الديوان ص ٣٩ .

ستعيش فى عمق المشاعر ثورةً ∴ تجتاح وجه الظلم كالثوار

ويظلُّ صوتكَ فى الضمائر عاليًا ∴ أقوى من الضجر والإعصار

وسينحنى هامُ الخلود تحيَّةً ∴ لصفاء هذا القائد المغوار

وسيعرفُ التاريخُ أنَّا أمةٌ ∴ لا تنحنى للظلم والأخطار

لن يكسروا أبدًا كرامة شعبنا ∴ وركوعنا للواحد القهار

هكذا يؤكّد الشعراء أن (ياسين حيٌّ بيننا) ، حتى إن الشاعر (وحيد الدهشان) جعل هذه العبارة عنوانًا لقصيدته فى رثاء الشيخ ، وفيها يؤكد أن الشيخ (ياسين) واحد من رموز المقاومة ، وهؤلاء لا يموتون ، وإنما ينتقل عزمهم إلى الأجيال التالية ، وتسرى أنوارهم فى دماء أخلافهم ، وتبقى كلماتهم الثائرة ملء قلوب محبيهم .

إن (ياسين حيٌّ بيننا) لا يظلُّ يظلُّ بوجهه من فوق كرسيه يعظ الجميع ، ويخطب فى الجموع يحثهم على الثبات ، ونبذ التخاذل ، وترك التذلل إلا لله رب العالمين .

يقول (الدهشان) [1] :

قل لليهود : رموزنا لا تُقتلُ ∴ يستشهدون ، وعزمهم يتقلُ

أجيالنا يمتدُّ فيهم غرسهم ∴ ويُضاءُ من وهج اليقين المشعلُ

لجهادنا الموصول كلُّ دمائنا ∴ يهدو الأواخر فى الطريق الأول

يا أغبياء ، رموزنا أنوارهم ∴ بعروقنا تسرى ، ولا تتناصلُ

---

(١) الديوان ص ٥٥ ، ٥٦ .

كلماتهم ممزوجة بدمائهم ∴ عبق بعمق فؤادنا يتغلغلُ

وجهادهم والصدق نبض حروفه ∴ لسنا لدرب غيره نتحوّلُ

يا أغبياء ، رمورنا أحبابنا ∴ عمل - بإذنك ربنا - مُتقبّلُ

تبكى العيون قراقهم ، وقلوبنا ∴ تبقى صلابتها ، ويفنى المعولُ

لا تفرحوا ؛ ياسين حى بيننا ∴ من عطر سيرته الزكيّة نتهلُ

من فوق مقعده يطلُّ بوجهه ∴ والبشرُ فوق جبينه يتهلّلُ

يعظ الجميع ثباته وشموخه ∴ يا أيها المتخاذلون ، تأمّلوا

يا من رضيتم بالحياة ذليلةً ∴ أولى بكم لله أن تتذللوا

الملمح السابع : تصوير منزلة الشهيد ووصف نعيمه فى الجنة :

كثيرًا ما تحفل قصائد رثاء الشيخ (ياسين) بالحديث عن منزلته بين الشهداء ، وتصوير مكانته بين هؤلاء ﴿ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴾ [1] .

كما تحفل بالحديث عن نعيمه فى الجنان ، وما أعده الله (عز وجل) له من رَوحٍ وريحانٍ ، وحورٍ وولدانٍ .

فالشاعر (محمود عبد السلام إمام) يصف الشيخ بأنه حادى مواكب الشهداء ، هؤلاء الشهداء الذين تهلّلوا لاستقباله حين وفد إلى عالمهم فهيّ الطلعة عاطر الدماء ، فتراهم يهتفون لتحيته ، ويعجبون لطوله ؛ حيث جاد بعمره فى سبيل ربه ، ولبّى نداء خالقه حين دعاه ، فاستبشرت السماء بروحه الطاهرة ، كما تطهّرت الأرض بأشلائه العبقة .

يقول فى ذلك [2] :

هلّلى يا مواكبَ الشهداء ∴ جاء حاديك عاطرًا بالدماء

واهتفى للّقاء مرحَى لشيخ ∴ جادَ بالعمر هاتفًا للّقاء

فارقَ الأرضَ للسماء دعثةُ ∴ وهو لبّى بالنفس والأبناء

فاشهدى يا سماء روح شهيد ∴ وتركى يا أرض بالأشلاء

والشاعر (على متولى) يتخيّل مشهد جنّة الخلد حين تهيأت لاستقبال موكب الشهيد ، فتراه وهو يناجيه عطر الجنة ، وتناديه رياضُها ، وتستقبله الحور العين فيها :

---

(١) من الآية (٦٩) - سورة النساء .

(٢) الديوان ص ٥٤ .

عبـــقُ الفـــردوس يناغينـــا ∴ وريـــاضُ الخلـــد تنادينـــا

والحـــورُ العـــين بموكبـــها ∴ تشـــدو تســـتقبل (ياســـينا)

كرســـيُك طـــار لـــدقها ∴ يشـــفع فى ســـاحة باريـنـــا

والجـــم تنـــاثر كـــى يحيـــا ∴ ويـــثير حقـــائق تحيينـــا

وثبـــتُ الـــروح بأمتنـــا ∴ نـــارًا ومنـــارًا يهـــدينا [1]

أما الشاعر (عمر الشافعى) فينتقل بنا بخياله لنرى مشهدًا آخر من مشاهد تكريم الشيخ الشهيد ، هو لون من التكريم المعنوى ، فالشيخ (ياسين) يلتقى فى الجنة برسول الله ﷺ فيصافحه ويحتضنه ، كما يلتقى بالصحابة (رضوان الله عليهم) حيث يقبلون إليه ، ويتسابقون إلى الترحيب به .

والشاعر يطلب إلى الشيخ أن يحمل إلى الرسول الكريم وصحبه الأطهار تحايا الأمة وأشواقها ، كما يطلب إلى الأمة أن تسير فى درب قائدها الشهيد وأن تستضىء بهديه :

(ياسينُ) ، أبشرْ للقا بمحمد [2] ∴ لك باسمًـــا مُـــدَّت إليـــك يـــداهُ

وقد احتواك بحضـــنه فـــإذا بـــه ∴ قد بلّـــل الـــدمعُ النـــديُّ لحـــاهُ

وإذا الصحابة حوله قد أقبلـــوا ∴ يتســـابقون إليـــكَ .. يـــا اللهُ

فاهنأ بهم ، واحملْ لهم أشـــواقنا ∴ وسلامنا ، والعهـــدُ لـــن ننســـاهُ

قم يا أخى ، قم حىَّ ذا الطير المها ∴ جر ، وانعهُ ، ولتسترْ بسناه [3]

---

(١) الديوان ص ٤٠ .

(٢) (صلى الله عليه وسلم) .

(٣) الديوان ص ٤٢ .

وإلى جانب هذا التكريم المعنوى يحظى الشيخ بلون آخر من التكريم هو التكريم المادى المتمثل فى نعيم الجنة ، وما اشتملت عليه من حور عين ، وولدان مخلدين ، وكئوس خمر ﴿ لاَ لَغْوٌ فِيهَا وَلاَ تَأْثِيمٌ ﴾ [1] ، كما يستمتع الشيخ فى الجنة بالعارق المصفوفة ، والرياض المثمرة ، والكواعب الحسان اللاتى لم يطمثهن إنس ولا جان .

يقول الشاعر (محمد الشهاوى) مصورًا مظاهر هذا النعيم [2] :

يا شيخ (أحمد) يا غريبَ الذات ∴ يـــا خالـــد الأمجـــاد والغـــزوات

وأخا الشموخ المستحيل صـــلابةً ∴ وأبا البنين الأسد والأحصـــان [3]

يا أيها النبراسُ ، مهما قد دجـــا ∴ ليلٌ ، ووارتْ ســـطوةُ العتمـــات

فى جنة الخلد الـــتى قـــد نلتـــها ∴ أسمى معـــانى الفضـــل مؤتلقـــات

حور ، وولـــدان ، وخمـــر لـــذةٌ ∴ قدســـية الأعنـــاب والكـــوات

* وغارق مصفوفة *[4] ، وحدائق ∴ أبدية الإيـــراق والثمـــرات [5]

وكواعب ما مسَّـــها إنســـ ولا ∴ جانٌ يَمِسْنَ خفاتر البســـمات [6]

وهكذا كانت قصائد الشعراء فى رثاء الشيخ (ياسين) مثالاً للشعر الصادق المؤثر ، الحافل بألوان من الرؤى الفكرية .

---

(١) من الآية (٢٣) سورة الطور .

(٢) الديوان ص ٥٢ .

(٣) الأحصان : جمع أحصة وهى الشعر الكثير الملتف وهى مسكن الأسد عادة .

(٤) هنا اقتباس من الآية (١٥) – سورة الغاشية .

(٥) الإيراق : مصدر أورق الشجر أى ظهر ورقه .

(٦) يَمِسْنَ : مضارع ماسَ بمعنى تبختر واختال فى مشيه ، وهو هنا مسند لنون النسوة وإن الكلام على الكواعب .
خفاتر : جمع خافرة : وهى المرأة التى اشتد حياؤها .

المبحث الثانى

ملامح الرؤية الفكرية فى قصائد رثاء الشهيد (الرنتيسى)

الملمح الأول :فقد الشهيد يضاعف أحزان الأمة :

لم تكد الأمة تفيق من فجيعة اغتيال الشيخ (أحمد ياسين) حتى رُزئت باغتيال خليفته (عبد العزيز الرنتيسى) ذلك الرجل كان يُرجَّى منه أن يواصل مسيرة شيخه ، وأن يقود القافلة فى طريق الخلاص والتحرير .

لقد كان فقْد ذلك الرجل ذى التاريخ الحافل بألوان الكفاح وصور البطولة مُفجِّرًا لبراكين الغضب وأعاصير الأسى فى نفوس الأمة ؛ حيث أحس الجميع بضياع الأمل المعقود على الشهيد ، وأحسوا بمدى وحشية العدوان ، واستهانته بمشاعر الأمة ، واستهدافه لرموزها .

كما أعاد مشهد اغتيال (الرنتيسى) إلى الأذهان مشهد اغتيال سلفه الشيخ ، فاشتدَّ الأسى ، وزادت الفجيعة ، وتضاعفت الأحزان .

وقد كانت هذه الأحزان المتضاعفة وقودًا يلهب حماس الشعراء ، ويُذكى مشاعرهم ، ويحرِّك ألسنتهم لتنطق بقصائد الرثاء الممتزجة بزفرات الصدور ، وعَبَرات العيون .

فالشاعرة (محبوبة هارون) تسطِّر فى رثاء الشهيد (الرنتيسى) قصيدة عنوانها (عذرًا إليكم) ، وفيها تعتذر إلى الشهيد عن عجزها عن توفيته حقه فى أبيات رثائه ، ففؤادها تقتله الحسرة ، وتخنقه العبرة ، بل إن الشعر يُلقى عليها باللوم ، والكلمات على لسانها يكبِّلها الخجل ، كما أنها يلفّها الهوان ، ويسكنها الخوف :

مـــاذا أقـــولُ وفى فـــؤادى حســـرةٌ

والكـــونُ مفجـــوعٌ لـــهُ زفـــراتُ ؟

إنى ليعصـــــرنى القـــــريض . يلـــومنى

وعلـــى فمـــى كـــم تخجـــلُ الكلمـــاتُ

عـــــذرًا إلـــــيكم فـــــالهوان يلفُنـــــا

والخوفُ يســـكنُ . حلَّـــت النكبـــاتُ [1]

إن الشاعرة حزينة كلَّ الحزن على فقد الشهيد ، رأيت هى وحدها التى تشعر بذلك ، فالكون جميعه مليء بالحسرات ، ناطق بالآهات .

وإلى جانب هذا الحزن على الشهيد تحس الشاعرة بلون آخر من الحزن هو الحزن على هوان الأمة ، حيث تعيش عيشًا ذليلاً يقتل حياءها ، ويُودى بكرامتها ، فهو عيش أشبه ما يكون بالموت :

فى الحـــزن كـــلُّ الكـــون شـــارك مهجتـــى

منِّـــى ومنـــهُ تُـــسمع الآهـــاتُ

إنى ليحـــــزننى الهـــــوان بـــــأمتى

وبـــــداخلى تتصـــــارع الكلمـــــاتُ

تبًّـــــا لعـــــيش قاتـــــل لحياتنـــــا

هـــو لـــيس عيشًـــا ، إنَّـــهُ لمـــواتُ [2]

والشاعر (وحيد الدهشان) يخبرنا عن مشاعر الأسى التى انتابته بعد رحيل الشهيد (الرنتيسى) . فقد ذهب الشهيد إلى ربه ليلقى الرضوان فى حين ترك قلب الشاعر وقلوب الأمة فريسةً للحزن الذى لا ينفك ينهشها :

---

(١) الديوان ص ٤٦ .

(٢) الديوان ص ٤٧ .

(عبـد العزيـز) ، لقـد رحلـت إلى الأُلى

يتغمـنـون بصـحبة الأبـرار

وتركتنـا والحـزن ينـهش قلبنـا

وزماننـا فى قبضـة الفُجّـار [1]

لقد كان رحيل الشهيد مصيبة شديدة الوقع على نفس الشاعر ، وقد جلّت المصيبة عن كلّ وصف ، وعظمت عن كل تصوير ، فلا تحيط بها الأشعار ، ولا تعبّر عنها مدامع الأوتار .

وعلى الرغم من هذا الحزن الشديد الذى ملك أقطار نفسه ، فقد وجد الشاعر عزاءه فى حكمة شعرية قديمة . يقول (الدهشان) [2] :

(عبـد العزيـز) وفى الرحيـل مصـيبة

هـى فـوق كـل مـدامع الأوتـار

وبـرغم هـذا يـا حبيـب رأيـتنى

عزيـت فيـك بحكمـة الأشـعار

قيلـت قـديمًا مـن فـؤاد جـاده

فـيضٌ كـريمٌ مـن فيـوض البـارى

---

(١) المرجع السابق ص ٥٨ .

(٢) السابق الصفحة نفسها .

(جـاورتُ أعـدائى ، وجـاورَ ربَّـهُ

شـتان بـين جـواره وجـوارى) [1]

فالشاعر القديم يجد عزاءه فى أن فقيده جاور ربه ولاشك أن جوار المولى (عز وجل) خير جوار ، فى حين أن الشاعر يجاور أعداءه فى الدنيا ، فبهذه الفلسفة وجد الشاعر راحة لنفسه وعزاء عن فقيده .

---

(١) ينسب البيت لأبى على الحسن محمد التهامى : شاعر يمنى توفى سنة ٤١٦ هـ ، ولإبراهيم بن حسن الطباطبائى : شاعر عراقى توفى سنة ١٣١٩ هـ .

الملمح الثانى: التنديد بالتمادى فى التخاذل والسلبية :

إذا كان الشعراءُ قد أشاروا فى رثائهم للشيخ (ياسين) إلى ضعف الأمة الإسلامية ، وتخاذل الموقف العربى الذى أدّى إلى هذه الجريمة النكراء ، فإنهم فى رثائهم للشهيد (الرنتيسى) قد تعالت فى قصائدهم نبرة التنديد بهذا الضعف والتخاذل .

فالشعراء - وغيرهم من أبناء الأمة - كانوا ينتظرون بعد الجريمة المروعة لاغتيال الشيخ أن تفيق الأمة من سباتها وأن تنهض لدفع الكيد ودرء العدوان ، لكنَّ هذا لم يحدث ؛ ففى الوقت الذى ازداد فيه تجرؤ الأعداء وكيدهم ازدادت كذلك سلبيَّة الأمة واستكانتها ؛ وذلك ما حدا بالشعراء أن يعيبوا هذه السلبية وتلك الاستكانة .

يقول الشاعر (طلعت المغربى) ناعيًا على الأمة تسربلها بثوب الذل ، ورضاها بالهوان [1] :

أوّاه يـــا أمـــتى ! ، بـــل ألـــفُ أوّاهُ

أوّاهُ لـــو أجـــدت المحـــزونَ أوّاهُ

فى كـــلّ يـــوم جـــراحُ القلـــب نازفـــةٌ

ثـــوب المذلـــة هـــلاّ قـــد نزعنـــاهُ

أم أننـــا أمـــتى ، ماتـــت كرامتنـــا ؟

لـــذا ارتضـــيناه هوانـــا . بـــل ألفنـــاهُ

مـــا قيمـــةُ العـــيش فى جـــبن وفى خـــور

وكـــلُّ مـــا قـــد قضـــاهُ الله نلقـــاهُ ؟

(١) الديوان ص ٢٥ .

إن هذا الموقف السلبىّ للأمة قد بثّ فى نفس الشاعر روح التشاؤم إلى الحدّ الذى جعله لا يرجو من الأمة نفعًا ولا يعقد عليها أملاً ، بل هو يجأر إلى ربه بالدعاء أن يأتى بالفتح أو أمرٍ من عنده يداوى به الفرقة ، ويُعيد إلى عباده الكرامة :

مـــا عـــدتُ أرجـــو إلهـــى نفـــع أمتنـــا

قلنـــا ، وقلنـــا كلامًـــا قـــد مللـــناهُ

يـــا ربّ فابعـــثْ علينـــا مـــن عنـــايتكمْ

مـــا قـــد يخلصـــنا ممـــا رأينـــاهُ

قد زاد ظلـــمُ العـــدى مـــن فُرْقَـــة ظهـــرتْ

فجمّع الشـــمل نُحيى مـــا أضـــعناه [1]

والشاعرة (محبوبة هارون) ترثى لما وصل إليه حال الأمة من الذلة ، فأباتزها يستعذبون الاستكانة ، ويرتضون الهوان ، ويغمضون عيونهم عن صورة القدس الجريح ، ويصمون آذانهم عن أنات المسجد الأقصى الباكية :

تبكـــى وتصـــرخُ داخلـــى الكلمـــاتُ

وتصـــيحُ فىّ بأننـــا أمـــواتُ

تتمتّعـــون وتمضـــغون هـــوانكم

لا تخجلـــون رحـــولكم صـــرخاتُ

فالقـــدسُ تـــدعو تـــستجير برهـــا

والمســـجد الأقصى لـــه أنـــاتُ [2]

(١) الديوان ص ٢٦ .
(٢) السابق ص ٤٥ .

لقد بلغت الاستكانة بأبناء الأمة أنهم يطلبون ودّ أعدائهم ، ويبغون رضاهم فى غفلة من مبادئ دينهم ، وبدافع من جهلهم حتى غدوا لقمةً سائغةً فى أفواه أعدائهم ، فهم لا يعملون فكر متدبّر ، ولا يستمعون لرأى ناصح :

نبغـى رضـا الأعـداء عنـا ، ويْلنـا !

فـإن ارتضـوا أفلـت بنـا الصـلواتُ

وبـذا نـودّع ديننـا وحياءنـا

وبـذا يعـمُّ الجهـل والخسـراتُ

ونكـونُ كالأنعـام فى هـذى الـدُّنى

أجـل بهـا الأكـلاتُ والوجبـاتُ

مـن دون فكـر أو رمـوز أو رُؤى

إذ كلـها فى عـرفهم لُعَـرات [1] [2]

وتعتذر الشاعرة إلى الشهيد عما أعقب اغتياله من سلبية وتخاذل ، فالأمة اكتفت بالدعاء ، وعقد ندوات التنديد والاستنكار ، ومثل هذه الأمور ليست كافية لجلب النصر المنشود .

وتعجب الشاعرة من هذا الموقف المخزى فى ظل همجية العدو واستباحته للأرض والعرض ، واعتدائه على الطفل والشيخ والنسوة :

عـذرًا إليـكم ، حسـبنا مـن ربّنـا

نـدعو فتسـخر كلُّهـا الـدعواتُ

---

(١) اللُّعرات : العصيات .

(٢) الديوان ص ٤٦ .

وتصيح : مـا هـذا التخـاذل ؟ ويحكـم

النصـر لا تـأتى بـه النـدواتُ

إنى لأعجـب كيـف يهنـأ عيشـكم

إذ تستجير وتصـرخ الأخـواتُ ؟ !

والطفـل والشـيخ الكـبير ، وكُلُّهـم

شـجر وعـرض ، مـوطن ونبـاتُ [1]

---

(١) الديوان ص ٤٦ .

الملمح الثالث : بطولة الشهيد وكفاحه :

كانت حياة الشهيد (الرنتيسى) حافلة بالكفاح ملأى بمواقف البطولة ، وكان مشهد موته واحدًا من هذه المواقف البطولية التى تفيض نبلاً وفداء .

إن هذه الحياة كتاب تحتشد فيه دروس التضحية والجهاد ، وهذا الكتاب جدير بأن يُدَرَّس لأطفال المدارس يتعلّمون منه ، ويفيدون مما فيه من قيم يعجز عن وصفها البلغاء ، وتقصر دونها ألسنة الشعراء .

يقول الشاعر (محمد فؤاد) [1] :

بـــأبي وأمـــى ، بـــل بكـــلّ نفـــيس

تُفدى - وإن غالوك - يـا (رنتيســى)

يـا مَـن جعلـتَ مـن الممـات صـناعةً

موشـــومةً بالبُـــل والتقـــديس

أشواقُ (أحمد) [2] قـد دعتـكَ وأبرقـتْ

فأجبتَهـا بـالروح روح عـريس

علمـتَ أطفـالَ المـدارس لهجـةً

مهـورةً بجهـادكَ المـدروس

---

(١) الديوان ص ٤٩ .

(٢) (صلى الله عليه وسلم) .

عـذرًا دم الشـهداء ، شـعرى قاصـرٌ

يشكو السّنادَ ، يضـيقُ بالتأسـيس [1]

كان (عبد العزيز) واحدًا من أولئك الشهداء الذين تبكى عليهم السماء والأرض ، وتئن لفقد كفاحهم الجبال .

هؤلاء الشهداء الذين تُعَدُّ حياتهم آيةً من الآيات ، يغرسون بذور المجد بتضافر ، ويروون غرسهم بدم الشهادة عند موتهم ، لتدنو الثمار ، وتتفتح الأزهار لمن يأتى بعدهم ، تقول الشاعرة (محبوبة هارون) [2] :

إن الجبـــالَ تـــئنُّ مـــن ألم بهـــا

والأرض تبكـــى ، والســـما عبـــراتُ

بقوافـــل الشـــهداء تمضـــى للعُـــلا

وعزاؤهـــا قـــد نـــادت الجنّـــاتُ

فمواكـــبُ الشـــهداء منـــهم آيـــةٌ

تمضـــى ، فتنطـــق بعـــدها الآيـــاتُ

فـــدماؤهم تـــروى ســـنابل مجـــدهمْ

تزهـــو فتنبـــت بعـــدها الزهـــراتُ

---

(١) السّناد : هو اختلافٌ ما يُراعى قبل الرَّوِىّ من حروف ، والتأسيس هو ألف يبنها وبين الروى حرف ويُعاب عدم التزامها . (انظر : المعجم المفصّل فى علم العروض والقافية وفنون الشعر ص ٢٧٣ ، ٣٤٩) .
والشاعر يقصد أن شعره قاصر عن تصوير منازل الشهداء .

(٢) الديوان ص ٤٥ .

لقد أبلى (الرنتيسى) بلاءً حسنًا طوال حياته ، وكان مثالاً شامخًا للصمود ، ورمزًا من رموز التواضع ، وقد صنع بكفاحه جيلاً من المناضلين رباهم على العزة والشموخ ، فكانوا نبراسًا يضيء ، ومنارًا يهدى ، باعوا الحياة ، واشتروا رضا ربهم ، فهم فى رباط إلى يوم القيامة :

(مـــرج الزهـــور) أتـــذكرون أســـودها

ولـــه هنـــا الصَّـــولاتُ والجـــولاتُ ؟[1]

ولـــه الصـــمودُ مـــع التواضـــع يـــنحنى

بجهـــاده كـــم رفرفـــت رايـــاتُ !

(عبـــدَ العزيـــز) أعـــزُّ قومًـــا لم تلـــنْ

منـــهم أمـــامَ غـــدْرِهم قـــواتُ

فهـــم المنـــارُ علـــى الطريـــق هـــم الهـــدى

وهـــم الضـــياءُ مـــن الســـما نفحـــاتُ

هـــم فتيـــةٌ قـــد آمنـــوا وتطهَّـــروا

وشروا الحيـــاة فكانـــت الروضـــاتُ [2]

هـــم فى ربـــاط حـــبهم مـــن ربِّهـــم

أن حـــوضهم قـــد حلـــت البركـــاتُ [3]

---

(١) مرج الزهور : بلدة فى جنوب لبنان ألقى إليها الشهيد سنة ١٩٩٢ م مع عدد كبير من المناضلين ، وكان (الرنتيسى) المتحدث الرسمى باسمهم وكان له هناك مواقف شجاعة . (انظر جريدة الأسرة العربية - العدد الصادر فى ٩ ربيع الأول ١٤٢٦ هـ / الموافق ١٨ أبريل ٢٠٠٥ م ص ١٠) .

(٢) شروا : باعوا .

(٣) الديوان ص ٤٥ .

وكما كانت حياة (الرنتيسى) مثالاً لحياة الأحرار كانت موته مثالاً لميتة البطل المغوار ، فقد نال الشهادة ، ومضى إلى ربه بتوَّجة الصدق ، وزينه الإيمان ، ويدفعه الإصرار ، تاركًا صورته العلنيَّة نجمًا يضيء طريق السالكين ، وصوته فاديًا لجموع المناضلين .

يقول الشاعر (وَحيد الدهشان)[1] :

لا يســـتوى فى شـــرعة الأحـــرار

عـــيشُ العبيـــد وموتـــةُ المغـــوار

(عبـــدَ العزيـــز) لقـــد رحلـــتَ مُتوَّجًـــا

بالصـــدق والإيمـــان والإصـــرار

ســـتظلُّ صـــورتُك البهيَّـــةُ مرفـــأً

لعيوننـــا كـــالنجم ، كالأقمـــار

ســـيظلُّ صـــوتك حاديًـــا لجهادنـــا

وبقلـــب مَـــنْ قتلـــوك كالإعصـــار

---

(١) الديوان ص ٥٨ .

الملمح الرابع . الأمل فى تحقيق النصر المنشود :

فى خضم الأشجان المتراكمة فى صدور الشعراء حزنًا على فقد الشهيد (الرتيسى) ، ووسط هذه اللجة المائجة بظلمات الأسى ، وغياهب اليأس ، نرى فى قصائد رثاء الشهيد شعاعًا من النور لا يزال يضيء ، ومضًا من الأمل لا يزال يشعّ .

فالشاعر (محمد فؤاد) يعرض فى مرثاته للشهيد صورةً قاتمةً للبطش الصهيونى الذى سعى فى الأرض ليُفسد فيها ، ويهلك الحرث والنسل ، تملؤه الأحقاد ، وتستهويه الدماء ، ويعيش على نهب الخيرات ، كالجراد الذى يَفِدُ على القرى فيأكل أخضرها ويابسها .

ووسط هذه الصورة الحالكة اليائسة يتبدّى خيطٌ من الأمل تتعلّق به نفس الشاعر ، فهو يرجو أن تزول هذه الفتة الظالمة ، وأن يذوق أبناؤها جزاء ما يقترفون ، على يد أبناء هذه الأمة الأباة الذين اعتادوا البطولة ، ودأبوا على الشجاعة ، فهم آساد الشرى التى تذود عن حماها ، وشموس الحق التى تبدّد ليل العاتين ، والنخل السامق الذى هو شعار العزة والكرامة ، ونبع الخير والعطاء .

يقول فى ذلك [1] :

بنو صهيون قد عاثوا فسادًا

وقد جاءوا بباطلهم لفيفا

وقد شربوا من الأحقاد كأسًا

وقد رسموا على أرضى نزيفا

---

(١) الديوان ص ٥٠ .

وجاثوا فى الديار فهم أزيزٌ

كأسراب الجراد تشقُّ ريفا

سيمضى زحفهم ليلاً ، وتُطْوَى

صحائفهم ، وقد ذاقوا الحتوفا

فيا وطنَ الأباة ، سُقيت غيثًا

ففيكَ أرى بطولات صنوفا

أرى أُسْدًا ترابض فى حماها

وترغم للعدوّ بها أنوفا [1]

أرى ليلاً تفتّق عن ضياء

وشمس الحقّ لا ترضى كسوفا

أرى نخلاً تسامق فى شموخ

وأشجارًا غدتْ ظلاً وريفا [2]

ومن هذا الأمل الممتزج بالحماسة ما نراه فى قصيدة (عذرًا إليكم) للشاعرة (محبوبة هارون) التى تقول فيها [3] :

فانظر شعوبَ العُرْب تَقْفو للفدا

هى صحوةٌ ، أو فلتقلْ : صحواتُ

---

(١) ترابض : يقال : رابض الأسد أى وقع على فريسته ، وتمكّن منها .

(٢) الظلّ الوريف : الناعم .

(٣) الديوان ص ٤٨ .

وانظـر لأخـت القـدس تـنفض ذلّهـا

سـتكون نـارًا دجلـةً وفـراتُ

فترابُهـا لَفـظَ العـدَى وسماؤهـا

وسُينصـران ، وترجـعُ البسـماتُ

وسـترجعُ الأرضُ السـليبةُ كلُّهـا

(حيفا) و (يافا) ، القـدسُ والحرمـاتُ

ونـرى الجبـالَ ، وقـد تبسَّـم وجهُهـا

والأرض تشـدو ، والسَّـما نغمـاتُ

فـالله بـالغُ أمـره فى كونـه

مهمـا اسـتطالَ الظُّلْـمُ والظُّلُمَـاتُ

سـيظلُّ نـورُ الله يسـطَعُ دائمًـا

لـن يُطمَـسَ المصـباحُ والمشـكاةُ

فالشاعرة تأمل أن تصحو الشعوب العربية لدحر كيد الأعداء ، وردّ الاعتداء ، وأن تطرد القدسُ محتليها ، وأن تعود الأرض السليبة ، وساعتئذٍ يسعد الكون ، فتبتسم الجبال ، وتبتهج الأرض والسماء فرحًا بنصر الله الذى ليس بمخلفٍ وعده ، ويأبى إلاّ أن يتم نوره ولو كره الكافرون .

الملمح الخامس : نعيم الشهيد فى الجنة ، ولقاؤه بالشيخ (ياسين) :

فى قصائد رثائهم للشهيد (الرنتيسى) يعمد الشعراء كثيرًا إلى تصوير نعيم الشهيد فى الجنة ، ولحاقه بشيخه (أحمد ياسين) ، ومشاركته إياه فى هذا النعيم . يقول الشاعر (عبد الوهاب سالم) [١] :

فكـانَ السـبقُ (للـدكتور) [٢] حقًـا

فـ (رنتيسـى) يُـدعَّم فى الأسـاس

فـأدركَ شـيخه [٣] فرحًـا سـريعًا

وخلّف (مشعَلاً) [٤] يهدى الأناسى [٥]

تسـير بضـوئه بعـضُ السَّـرايا

ويـأبى نـورُه بعـضَ الخسـاس [٦]

لقد نال (عبد العزيز الرنتيسى) منـزلة الشهيد ، وهى منـزلة أكرمَ بها منـزلة تُبلغه أعلى درجات الجنان ، وتُلحقه بالشهداء السابقين من أمثال شيخه (ياسين) ، والذين كانوا رمزًا للصدق ، وعنوانًا للنضال ، ونبراسًا يضىء الدرب للسالكين . تقول الشاعرة (محبوبة هارون) [٧] :

---

(١) الديوان ص ٣٢ .

(٢) يريد الشهيد (الرنتيسى) وكان طبيبًا ، وقد دأب العامة على تلقيب الطبيب بـ (الدكتور) ، مع أن الصواب أن هذا اللقب لا يطلق إلا على من حصل على درجة (الدكتوراه) .

(٣) يقصد الشيخ (أحمد ياسين) .

(٤) هو (خالد مشعل) رئيس المكتب السياسى لحركة المقاومة الفلسطينية (حماس) ، وخليفة الشهيد (الرنتيسى) فى قيادة الحركة .

(٥) الأناسى : مخفف الأناسىّ وهو جمع إنسىّ بمعنى الإنسان .

(٦) الخساس : مصدر خسّ بمعنى قلّ ونقص .

(٧) الديوان ص ٤٧ ، ٤٨ .

(رنتيسى) ، نلتَ شهادةً تعلو بها

نعمَ الثواب إليكَ ، والرُّحماتُ

فلحقتَ بالشهداء غيرَ مبدَّل

أكرم بمن تزهو به الدرجاتُ (١)

أدركت شيخك صادقًا ومجاهدًا

وعدوُّكم تشتاقه الدَّركاتُ (٢)

رجهادكم فى الله يبقى دربهُ

فبمثلكم تتفجَّر الطاقاتُ

والشاعر (طلعت المغربى) يتخيَّل لقاءً تم بين الشهيدين (أحمد ياسين) و (الرنتيسى) ، فالشيخ (ياسين) لحق بربه (تعالى) ولقى من النعيم ما لقى ، فأراد أن يشاركه رفيقه (الرنتيسى) فى هذا النعيم ، فدعاه إلى لقائه وصحبته فى روضات الجنات ، فكان اللقاء ، وكانت الصحبة :

أرثيكَ (ياسينُ) أم أرثى خليفتكم

(عبدَ العزيز) حبيبًا قد فقدناه ؟

كأنَّ (ياسينَ) لما صار فى سعة

من الجنان أتاهُ اليومَ ، ناداه :

---

(١) الدرجات : المنازل العليا ، والمراد منازل الجنة .

(٢) الدَّركات : المنازل السفلى ، والمراد منازل النار .

(عبدَ العزيز) ، إلينا كى نرافقنا

فورًا أجابَ شهيدُ الحقِّ دعواهُ

هنالك التقيا فى جنة عَظُمَتْ

ونالَ كُلٌّ بحقٍّ ما تمنَّاهُ (١)

* * *

وهكذا جاءت قصائد الشعراء فى رثاء الشهيد (الرنتيسى) شعرًا معبرًا عن أحاسيسهم ، ناقلاً لمشاعرهم الملتاعة لفقد الشهيد .

* * *

(١) الديوان ص ٢٥ .

المبحث الثالث

ملامح التشكيل الفنى فى قصائد الديوان

ملامح التجربة الشعرية :

يُقصد بالتجربة الشعرية : الحالة التى تشبع فيها نفس الشاعر بموضوع من الموضوعات ، أو مشهد من المشاهد ، أو فكرة من الأفكار ، أو مرأى من المرائى يمتلئ بها وجدانه متحفزًا إلى التأمل والتفكير والاستغراق ، بل والاندماج فيها ، ثم يتهيأ بعدها للإعراب عن مشاهدته أو رؤيته [١] .

فالتجربة الشعرية عمل وجدانى تقوم به نفس المبدع إثر انفعاله بما يُثيره من الأحداث ، وهى - أيضًا - المرحلة الأولى من مراحل العمل الإبداعى ، والتى يكون لها الأثر البالغ فى مراحله اللاحقة .

وحتى تكون التجربة الشعرية مؤثرة فى المتلقّى بالصورة المرجوة لابد من أن تتسم بالصدق .

ولاشك أن قصائد ديوان " دموع المحبين فى وداع الرئيسى وأحمد ياسين " تمثّل تجارب شعرية غاية فى الصدق ، وذلك لأنها صادرة عن نفس موجعة ، وقلب مكلوم .

ولعل قصائد الديوان جميعها بلا استثناء تصلح نموذجًا يُمثّل به لصدق التجربة .

فمثلاً قصيدة (لن تموت) التى كتبها الشاعر (عبد الله أحمد كامل) فى رثاء الشيخ (ياسين) نجدها تنم عن هذا الصدق فى التجربة ، فالشاعر قد أفزعه اغتيال الشيخ على هذا النحو البشع ، فامتلأت نفسه بأحاسيس الأسى والهلع التى نقلها إلينا شعرًا داميًا يعبر عن صدق تجربته ، وصدق مشاعره . يقول [٢] :

---

(١) انظر : الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث - لمصطفى عبد اللطيف السحرتى ص ٧ - ط المقتطف والمقطم ١٩٤٨ م .

(٢) الديوان ص ٢٩ .

قتلوه بعد خروجه من ساحة الغفران يرجو كاشف الضراء
قتلوهُ لما لم يطاطئ رأسهُ ∴ بل قالها فى عزّة وإباء
قتلوه إذ وجدوه حُرًّا ماجدًا ∴ فى ساحة الأمجاد والعظماء
مَنْ مثله بطلٌ بجسم ساكن ∴ والروحُ طائرةٌ إلى العلياء ؟
الجسمُ مشلولٌ . نعم ، لكنهُ ∴ كالسيف مسلولٌ على الجبناء
مَنْ مثله فى القيد يقضى عمرهُ ∴ ليحرّر الأقصى من الأعداء ؟

وعلى هذه الشاكلة من صدق التجربة تمضى قصائد الديوان ناطقةً بالصدق ، معبّرة عن أحاسيس الشعراء ، ناقلةً مشاعرهم .

حتى بعض القصائد التى قد تبدو لأول وهلة مفتقدة لهذا القدر الكبير من صدق التجربة وتغلغلها فى وجدان الشاعر ، نجدها بالتأمل ومواصلة القراءة لا تقل فى درجة صدقها عن بقية قصائد الديوان .

فقصيدة (قدر الكراسى) للشاعر (عبد الوهاب سالم) قد يُفهم من مطلعها أن الشاعر إنما أراد المشاركة فى تسجيل حادثة اغتيال الشيخ (ياسين) لا غير ، حيث يقول [١] :

نشاركُ فى ملاه كالماسى ∴ فكيفَ نغيبُ فى بلوى (حماس) ؟

وقد يُفهم من هذا أن الشاعر الذى يشارك بشعره فى الأفراح والأتراح يريد ألا تفوته المشاركة فى تصوير هذه البلوى التى نزلت بالأمة ، وهذا الأمر قد يشكّك فى درجة انفعال الشاعر بالتجربة ، ومن ثم يشكك فى صدقها .

---

(١) الديوان ص ٣٢ .

لكن هذا الشك سرعان ما يتلاشى بقراءة بقية القصيدة التى تعبر عن صدق الانفعال وصدق العاطفة . حيث يقول الشاعر فيها [١] :

لقد قتلوك يا (ياسينُ) غدرًا ∴ وكنتَ عليهمُ صعبَ المراس

غرستَ مبادئَ الإخلاص فينا ∴ فذاكَ الجمعُ من طيب الغراس

فتلك الصبيةُ اشتاقتْ لموت ∴ كريم قد تدرَّج فى اللباس

وذاك القائدُ المغوارُ ليثٌ ∴ يعادى القردَ ، والنجمَ السُّداسى [٢]

يجاهد خصمه دكًا وفتكًا ∴ وما وهنَ الخليفة إذ يقاسى

ومن كانت منيتهُ دماءً ∴ لأجل الحقِّ سالتْ دونَ ياس

فإن النصر يا إخوانى آت ∴ بإذن الله يُصنعُ فى (حماس)

فواضح من هذه الأبيات أن القصيدة نابعة من تجربة شعرية لا تقل فى صدقها عن قصائد الديوان الأخرى .

(١) الديوان ص ٣٢ .

(٢) النجم السداسى : شعار العلم الصهيونى .

ملامح العاطفة :

العاطفة عنصر مهم من عناصر الأدب ، وأهميتها من جهة أنها الروح التى تبثُّ فى المادة فتحلُّ بها كل مقومات الحياة [١] .

كما أنها التى تمنح الأدب البقاء ، وتُلحقه بالتراث الإنسانى الخالد ، وتبعده عن النطاق العلمى المتغير [٢] .

أما ما يتصل بديوان (دموع المحبين) فيمكن القول : إن تجارب شعراء الديوان كما كانت صادقة فى معايشتها كانت عواطفهم - كذلك - صادقة فى التعبير عن الأسى الدفين فى صدورهم .

وهذا الصدق فى العاطفة نجده فى أكثر قصائد الديوان ، ومن القصائد التى يتجلى فيها هذا الصدق بوضوح قصيدة (سيظل جرحك نازفًا) للشاعر (طلعت المغربى) والتى يقول فيها [٣] :

إن صار جسمك فى التراب مُوَسَّدًا
سيظل ذكرك فى القلوب مُخَلَّدا

بكت الدماء عليكَ أحداقُ الورَى
وقلوبُنا كادت بأن تتوقَّدا

يا من قضيتَ حياتك الغراء فى
تقوى الإله . لبستَ أثوابَ الهُدَى

(١) انظر :فى النقد الأدبى - للدكتور/عبد العزيز عتيق ص ١٠٢ - ط دار النهضة العربية للطباعة والنشر - بيروت -لبنان - الطبعة الثانية١٣٩١ هـ/ ١٩٧٢ م .

(٢) راجع : مناهج البحث الأدبى : دراسة تحليلية تطبيقية - للدكتور / سعد ظلام ص ١٢٩ - ط نهضة الشرق - جامعة القاهرة - الطبعة الثانية ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦ م .

(٣) الديوان ص ٢٣ .

يكفيكَ فخرًا عند موتكَ سيِّدى

أن عشتَ مُتَّقيًا ، ومتَّ مُوحِّدًا

صليتَ فجرَ الله فى محرابه

واغتالك الخنزيرُ بئسَ مَن اعتدى !

يا صاحبَ الوجه المضيء كرامةً

لا ترتوى العينان منهُ إذا بدا

يا دوحةَ الأخلاق ، يا نبراسَنا

سيظل جُرحك نازفًا طولَ المَدَى

فالأبيات يتجلى فيها صدق العاطفة ، ذلك الصدق الذى يحس به المتلقى مما تثيره فى نفسه معانى الألم والأسى على فقد الشيخ الشهيد .

هذا ، وتتنوع العاطفة فى قصائد الديوان ، فنراها فى بعض الأحيان عاطفة ساخرة ، حيث يلجأ الشاعر إلى السخرية فى تصوير نفسيته المتأزمة لاسيما فى معرض الحديث عن الموقف السلبى لأبناء الأمة .

فمثلاً نرى الشاعر (محمد الشهاوى) عند حديثه عن نعيم الشهيد فى الجنة يتساءل ساخرًا : هل هذه الجنة المليئة بألوان النعيم علاج لهؤلاء العاجزين المتخاذلين من أبناء الأمة ؟ فيقول فى عاطفة ساخرة [1] :

لكنما هلْ من عقاقيرٍ بها

للإخوة المرضى ذوى العاهات ؟ [2]

---

(١) الديوان ص ٥٢ .

(٢) العقاقير : الأدوية ، والضمير فى (بها) عائد على جنة الخلد المذكورة فى بيت سابق .

للإخوة الفرق الذين تكتلت

أرواحهم من كثرة الشكرات

الإخوة الشيع الذين تيبست

أجسادهم من كثرة السقطات

الإخوة البدد الذين تفرقوا

كى يلتقوا فى سلة اللعنات

فالأبيات تفيض بالعاطفة الساخرة التى آثرها الشاعر لتصوير ما به من معانى الألم والأسى .

ومن المعروف أن روح السخرية من ظواهر التمرد فى بناء القصيدة الحديثة [1] .

وفى أحيان قليلة تبدو العاطفة عاطفة أمل وتفاؤل كما فى قول الشاعر (رشاد البيومى) [2] :

سترجع أمتنا للصواب

وترصدُ كلَّ ذليلٍ هدمْ

وترفعُ راياتها للجهاد

وتأوى لعزِّ مضى والنصرْ

فطبِّ أيها الشيخُ نفسًا وروحًا

سألك ربك مهما عظمْ

---

(١) انظر : التجربة الإبداعية فى ضوء النقد الحديث : دراسات وقضايا - للدكتور / عامر عبد السلام ص ٨٢ ، ٨٣ - مكتبة الخانجى - الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ / ١٩٩٠ م .

(٢) الديوان ص ١٧ .

وأرجـــو الشـــهادةَ فى كـــلّ حـــينٍ

كريمًـــا عزيـــزًا بـــربِّ الـــنِّعمْ

لكن الأكثر أن تكون العاطفة عاطفة يأس والهزامية كما فى قول الشاعر (حسن على عثمان) [١] :

(يـاسـينُ) ، هـذا بعـضُ مـا بى . إنـنى

بجـراح ضـعف المسـلمينَ خـبيرُ

مـاذا جنينـا بعـدَ قتلـكَ سـيدى

غـيرَ الهشـيم ترابُـهُ منثـورُ ؟

القمـة انتحـرت ، ومزقهـا الهـوى

والمسـجد الأقصـى الحـزين أسـيرُ

أضـحوكةً صـرنا بآفـاق الـدُّنى

فـالغربُ فـولاذٌ ، ونحـنُ قُشـورُ

نُحـيى الليـالى بالخلاعـة والخَنَـا

وعـدوُّنا متحفّـزٌ مغـرورُ [٢]

يـا شـيخنا (يـاسـينُ) ، هـذا حالنـا

قـد مـاتَ حُزنًـا فى فمـى التعـبير

وهكذا ، اتسمت العاطفة فى قصائد الديوان بالصدق والتنوع .

---

(١) السابق ص ١٤ .

(٢) انظر : التحش فى الكلام .

ملامح اللغة والأسلوب :

اللغة هى الإطار الذى يظهر فيه العمل الأدبى ، والوسيلة التى يعرض بها المبدع مشاعره وأفكاره .

وينبغى للشاعر أن يتسلح برصـيد هائـل مـن الألفـاظ اللغويـة حـتى يتسنى له الانتقاء والاختيار والتفضيل بـين الكلمـات ذوات الإيحـاءات المختلفة مع تجربته [١] .

والأسلوب هو " العبارات اللفظية الـتى هـى المظهـر لطـريقى الـتفكر والتصوير " [٢] .

وله أهميته التى لا تخفى فى العمل الأدبى ، فهو " المنوال الـذى ينسـج فيـه التراكيب ، والقالب الذى يُفرغ فيه " [٣] .

أما ما يتصل بديوان (دموع المحبين) فقد برزت فيه بعض الظواهر المتعلقة باللغة والأسلوب ، وأهمها ما يلى :

أولاً : استخدام الألفاظ السهلة :

لعل من أبرز الظواهر اللغوية فى الديوان استخدام الألفاظ السهلة التى تنأى عن الغرابة والوحشية ، وفى الوقت نفسه لا تصل إلى حد العامية والابتذال .

وتبدو هذه الظاهرة واضحة فى أكثر شعر الديوان ، حـتى إن جلـه يصـلح أنموذجًا يستشهد به على استخدام الألفاظ السهلة ، ومن ذلك قصيدة (أنـا لسـت أرثى) للشاعر (أحمد منصور الباسل) التى يقول فيها [٤] :

---

(١) انظر : التجربة الشعرية عند المتنبى - للدكتور / عبد الإله محمود حسن عروس ص ٧٢ - مطبعة الأمانة - الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٩ م .

(٢) الأسلوب : دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية - تأليف / أحمد الشايب ص ٥٤ - مكتبة النهضة المصرية - الطبعة الثانية ١٤٢٣ هـ / ١٩٩٣ م .

(٣) مقدمة ابن خلدون ٣ / ١٣٠٠ - تحقيق الدكتور / على عبد الواحد وافى - نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع - الطبعة الثالثة - دون إشارة إلى تاريخ الطبع .

(٤) الديوان ص ١٢ .

ورأيتـــه [١] - تفديـــه نفـــسى - واقفًـــا

والنـــورُ فى الجنيـــات فى الأجـــواء

ياســـينُ ، أحمـــدُ ، يـــا عيـــونى ، وجهـــه

نجـــم يضـــىء بلحيـــة سمـــراء

ورأيـــتُ وجـــهَ القـــدس أقبـــل خاشـــعًا

يهـــدى الزهـــورَ لرائـــد العظمـــاء

مـــا مـــاتَ مـــن جعـــلَ الحيـــاةَ هديـــةً

تُهْـــدَى ، فيعلـــو فى الوجـــود لـــوائى

فاهنـــأ شـــهيدَ العجـــز ، وامـــدُدْ كفكـــمْ

فـــالفجرُ تجمـــع موكـــب النـــبلاء

سَـــلِّم علـــى الفـــاروق ، واجلـــس جنبـــهُ

واصـــدغ بـــآى الـــذكر والآلاء

فكلاكمـــا - والله - حـــىٌّ خالـــدٌ

والمـــوتُ كـــلُّ المـــوت للجبنـــاء

فواضح أن الألفاظ فى الأبيات السابقة سهلة واضحة ، بعيدة عن الغمـوض والغرابة ، لا تعوز المتلقى إلى الرجوع لمعجمات اللغة لمعرفة مدلولها .

---

(١) الضمير يعود على الشهيد (أحمد ياسين) .

ثانيًا : استعمال الكلمات الموحية :

من الظواهر اللغوية البارزة فى الديوان استعمال الكلمات الموحية التى لا تقف عند الدلالات المعجمية ، بل تتخطاها حاملة شحنات انفعالية قادرة علـى أن تنقـل مشاعر المبدع ، وعلى أن تثير فى المتلقى " مشاعر إيحائية متوسلة بإيماءات ذات وهج ، تظل تتسع وتتشعب مثيرة تذكارات عالقة بالشعور ، لتتخلق فى اثناء الطريق إيمـاءات أخرى تمتد وتنفسح أبعادها " [١] .

ومن قصائد الديوان الحافلة بالمفردات الموحية قصيدة (صوت الدم) للشاعر (حسن على عثمان) التى يقول فيها [٢] :

العجـــزُ قيَّـــدنى ، فكيـــفَ أســـيرُ ؟!

والقلـــبُ مـــن فـــرط الهمـــوم كســـيرُ

(بغـــدادُ) فى ذُلِّ الإســـار جريحـــةٌ

والقـــدسُ فيـــه دمُ الكـــرام يفـــورُ

وعواصـــمُ الأعـــراب صـــمتٌ قاتـــلٌ

صـــهيونُ محتفـــلٌ بـــه مســـرورُ

فالأبيات ملأى بالألفاظ الموحية التى تنقل أحاسيس الشاعر ، وتثير ميلافقا فى نفس المتلقى ، ومن ذلك كلمة (العجز) التى توحى بالضـعف والسـقم ، وكلمـة (قيدنى) التى توحى بالعجز وفقد الحرية ، وكلمة (الهموم) التى توحى بمعانى الحـزن والأسى ، وكلمتا (كسير) و (جريحة) اللتان توحيان بالألم الموجع ، وكلمة (ذل)

---

(١) لغة الشعر : قراءة فى الشعر العربى الحديث - للدكتور / رجاء عيد ص ١٥ - ط منشأة المعارف بالإسكندرية - دون إشارة إلى تاريخ الطبع .

(٢) الديوان ص ١٤ .

التى توحى بالضعف وفقد الكرامة ، وكلمة (يفور) التى توحى بالغضب والثورة ، وكلمة (صمت) التى توحى بالعجز والسلبية والاستكانة .

ثالثًا : دوران الأسلوب بين الجزالة والسهولة :

يدور الأسلوب فى قصائد الديوان بين الجزالة والسهولة ، والأسلوب الجزل هو الذى تعرفه العامة إذا سمعته ، ولا تستعمله فى محاوراتها ، أو هو ما عرف الخاصة فضله ، وفهم العامة معناه [١] .

أما الأسلوب السهل فهو الذى يخلو أو يكاد يخلو من ألفاظ الطبقة المثقفة بشرط أن يرتفع عن ألفاظ السوقة [٢] :

ومن أمثلة الأسلوب الجزل قول الشاعر (محمود عبد السلام إمام) [٣] .

يا جموعَ الجهاد زيدى حماسًا

واهتفى يا كتائب الشهداء

هل تظنون موتةً لك موتًا

خيَّبَ الحق ظنة الجبناء

دمه شحذة الجلاد لسيف

ليس إلا زيادة فى المضاء

---

(١) انظر : صبح الأعشى فى صناعة الإنشا لأحمد بن على القلقشندى ٢ / ٢٢٧ - ط دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٧م .

(٢) أسس النقد الأدبى عند العرب - للدكتور / أحمد أحمد بدوى ص ٤٩٨ - ط نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع - أكتوبر ١٩٩٤ م .

(٣) الديوان ص ٥٤ .

ليس رفعُ الشهيد إلا حياةً

فوق هذى الحياة والأحياء

عاشَ فينا مناديًا للمعالى

وهو فوق السماء عالى النداء

فامضى يا جموع ، لبى نداهُ

واهتفى : ليتَ القدسُ للدخلاء

ربِّ ، هذا شهيدُنا حلَّ ضيفًا

بكَ يرجو منازلَ الشهداء

فالأسلوب فى الأبيات يميل إلى الجزالة والرصانة .

ومن أمثلة الأسلوب السهل قول الشاعر (على متولى) فى رثاء الشهيد (ياسين) [١] :

كرسيُّكَ أزرى بقصور ∴ جئتَ عن لُقيا عاديا

والجسمُ - أشل - سما همّا ∴ كشفتْ عن سوءة شانيا

فدماؤك لن تذهب هدرًا ∴ وستبعث منها فيا

فدما الشهداء أمانتنا ∴ سنلى الثأر ملايينا

سيعود (صلاحُ الدين) سنا ∴ يضوى بالحق ويهدينا

أبشر بالخلد وبشرنا ∴ بالنصر أهلُ بواديا

---

(١) الديوان ص ٤٠ .

حقّـــق - مولانـــا - غايتنـــا ∴ واقبـــل برحابـــكَ (ياســـينا)

وواضح أن الأسلوب فى الأبيات يميل إلى الرقة والسهولة .

رابعًا : تنوع الأسلوب بين الخبر والإنشاء :

يتنوع الأسلوب فى قصائد الديوان بين الخبر والإنشاء ، لكن الأسلوب الخبرى أكثر شيوعًا فيها .

ومن القصائد التى كثر فيها استعمال الأسلوب الخبرى قصيدة (ياسين) للشاعر (عصام الغزالى) التى يقول فيها [1] :

قعيـــدٌ أوقـــف المضـــنى وهـــزّهْ

فـــأيقع مـــاردًا لمـــا أفـــزّهْ

وأقبـــل مـــن صـــلاة الفجـــر يـــدعو

فـــأزّت فوقـــه (الأباتشـــى) أزّه [2]

ومـــا الإرهـــابُ إلا قتـــل هـــذا

وســـفكُ النـــور مجـــزرةٌ وجـــزّهْ

وناداتـــه الملائـــكُ وهـــو يعلـــو

لتلبســـه مـــن الفـــردوس خـــزّهْ

شـــهيد أمّ ، فالتحمـــت ، فصـــلّتْ

فضـــائل جمعهـــا - صـــفًا - أعـــزّهْ

---

(١) الديوان ص ٣٤ .

(٢) الأباتشى (Apatshi) طراز الطائرة الروحية التى استخدمها الأعداء فى غارقم على الشيخ (ياسين) .

تعجـــل الصـــوت لم يخطـــب كـــثيرًا

وجـــاوز كـــل ذى لســـن وبـــزّهْ

ســـيبت منـــه (ياســـينَ) كـــثيرٌ

ويأخـــذ ثـــأرَه أطفـــال (غـــزّهْ)

فالأبيات تفيض بالأسلوب الخبرى الذى يناسب العاطفة الهادئة ، أما العاطفة المحتدمة ، والمشاعر المتوهجة فيناسبها الأسلوب الإنشائى ، ومن أمثلته قول الشاعر (عبد الله كامل) [1] :

يا قـــوم ، حـــى علـــى الجهـــاد ، تقـــدموا

ذودوا عـــن الأعـــراض والأبنـــاء

عـــودوا إلى القـــرآن مصـــدر عـــزّكم

لا تهجـــروا دســـتور ذى النعمـــاء

عـــودوا إليـــه ضـــمائرًا وجوارحًـــا

تجنـــوا بـــه الإســـعاد بعـــد شـــقاء

وحـــذار مـــن أهـــل النفـــاق ، فـــإنهم

يتلوّنـــون تلـــوّن الحربـــاء

---

(١) الديوان ص ٩٢ .

مـــاذا دهـــاكم يـــا جنـــود (محمـــد)[1]

هانـــت عليـــكم واحـــة الإســـراء[2]

ذو العـــرش نـــاداكم فـــأين المـــؤمن

(م) الأوّاب يـــا لقلوبنـــا الصـــماء !

فالأبيات حافلة بالأساليب الإنشائية مثل النداء (يا قوم) و (يا جنود محمد) و (حـــى علـــى الجهـــاد) و (تقـــدموا) و (ذودوا) و (عـــودوا) و (حذار) ، والنهى : (لا تهجروا) ، والاستفهام : (مـــاذا دهـــاكم) ، و (أيـــن المؤمن) وكلها أساليب غرضها حض الأمة على التماسك والعودة إلى رباط الدين ، والأخذ بثأر الشهداء .

خامسًا : استخدام أسلوب التكرار :

تُعد ظاهرة التكرار من الظواهر الشائعة فى أساليب ديوان (دموع المحـــبين) وهذا التكرار يستعين به الشعراء على إبراز مشاعرهم من جهة ، وعلى تأكيد المعـــنى المراد من جهة أخرى .

ومن أمثلته قول الشاعر (طلعت المغربى) فى رثاء الشيخ (ياسين)[3] :

ظنوا بقتلـــك أن تكـــون نهايـــة ∴ كـــلاَّ وربى ، إن هـــذا المبتـــدا

ظنوا بقتلـــك أن تكـــون نهايـــة ∴ ضلُّوا ، وما عرفوا الطريق الأرشدا

فقد كرَّرَ الشاعر عبارة (ظنوا بقتلك أن تكون نهاية) للتنبيـــه علـــى خطـــأ الأعداء فى ظنهم انتهاء المقاومة بقتل الشيخ .

---

(١) (صلى الله عليه وسلم) .
(٢) واحة الإسراء : المراد القدس .
(٣) الديوان ص ٢٤ .

ومن أمثلة التكرار – أيضًا – قول (محمد الشهاوى)[1] :

لابد من فجر وإن طال المـــدى ∴ وتكالبـــتْ وحشـــيةُ الظلمـــات

لابد مـــن فجـــر إلهـــىّ الســـنا ∴ يمحو الدى عشاهُ من حـــسرات

حيث كرر الشاعر عبارة (لابد من فجر) للإبانة عن أمله ورغبتـــه فى زوال البغى ، وميلاد فجر جديد من العدل والحرية .

سادسًا : استعمال أسلوب الحكمة :

مَنْ يطالع قصائد الديوان يجدها حافلة بألوان من الحِكَم المعبّرة عن أحاســـيس قائليها ، الشارحة لنفسياتهم .

ومن ذلك قول (وحيد الدهشان)[2] :

لا يستوى فى شـــرعة الأحـــرار ∴ عـــيش العبيـــد وموتـــةُ الفـــوار

وهى حكمة تبين فضل الشهداء الذين ضحوا بأرواحهم فى سبيل أوطـــانهم ، على هؤلاء الذين يرضون بالحياة فى ظل القهر والتسلط .

ومن ذلك – أيضًا – قول (سامى السيد بدر)[3] :

فليس الحرُّ يـــستجدى احترامًـــا ∴ ويلـــبسُ صـــمته خزيًـــا عبـــادة

وهى حكمة تنفر من السلبية ، وتدعو إلى التمسك بالعزة والكرامة .

سابعًا : التأثر بالأسلوب القرآنى :

من الظواهر البارزة فى أسلوب قصائد الديوان تأثر الشعراء بأسلوب القـــرآن الكريم .

---

(١) الديوان ص ٥١ .
(٢) الديوان ص ٥٨ .
(٣) الديوان ص ١٨ .

ومن أمثلة هذا التأثر قول الشاعر (وحيد الدهشان) يخاطب المتخاذلين من أبناء الأمة [١] :

أو ما قرأتم فى كتاب ملـيككم ∴ أمرًا أتى لنبيكم " وقل اعملوا " ؟

هذى " أعدوا " هل أتت لسواكم؟ ∴ أم هل وُعدتم أنكم لن تُسألوا ؟

فالوعد وعد الله ليس بمخلف ∴ لكن على الجبناء لا يتنزّل

ففى البيت الأول إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾ [٢] ، وفى الثانى إلى قوله (عز وجل) : ﴿ وَأَعِدُواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ ﴾ [٣] ، وفى الثالث تأثر بقوله (سبحانه) : ﴿ فَلاَ تَحْسَبَنَّ اللّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ ﴾ [٤] .

ومن التأثر بأسلوب القرآن الكريم قول الشاعرة (محبوبة هارون) عن المناضلين من تلاميذ الشهيد (الرنتيسى) [٥] :

هم فتية قد آمنوا وتطهروا

وشروا الحياة فكانت الروضات

ففيه تأثر بقوله (تعالى) عن فتية الكهف : ﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴾ [٦] .

---

(١) الديوان ص ٥٦ .

(٢) من الآية (١٠٥) – سورة التوبة .

(٣) من الآية (٦٠) – سورة الأنفال .

(٤) من الآية (٤٧) – سورة إبراهيم .

(٥) الديوان ص ٤٥ .

(٦) من الآية (١٣) – سورة الكهف .

ومنه قول (عمر الشافعى) عن العدو الذى يطلب الأمن والنجاة فى قتل الشيخ (ياسين) [١] :

أرداكَ يحسبُ أنه يمضى لطوق نجاته والله ما أغباهُ !

ذا كالسراب إذا أتاه فإنهُ ∴ يلقى هناكَ حسابهُ ورداهُ

والتأثر هنا بقوله (تعالى) : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ [٢] .

ومنه قول الشاعر (سامى السيد بدر) عن رجال المقاومة الأشداء [٣] :

ومنهم من قضى نحبًا ، ولكنْ ∴ قبور الموت لا قوى رقادهْ

ففيه تأثر بقوله (تعالى) : ﴿ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ ﴾ [٤] .

ومن التأثر بأسلوب القرآن الكريم قول (طلعت المغربى) [٥] :

فى مقعد الصدق الكريم مقامكم

أكرم أيا شيخى برؤية (أحمدا) [٦]

حيث تأثر فيه بقوله تعالى عن المتقين : ﴿ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾ [٧] .

---

(١) الديوان ص ٤٢ .

(٢) الآية ٣٩ من سورة النور .

(٣) الديوان ص ١٨ .

(٤) من الآية (٢٣) سورة الأحزاب .

(٥) الديوان ص ٢٤ .

(٦) (صلى الله عليه وسلم) .

(٧) الآية (٥٥) – سورة القمر .

ومن ذلك قول (محبوبة هارون) [١] :

فـــالله بـــالغٌ أمـــره فى كونـــه ∴ مهما استطالَ الظلمُ والظلمـــاتُ

والأثر فيه بقول الله (تعالى) : ﴿ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ ﴾ [٢] .

ومنه قول (محمد الشهاوى) عن نعيم الشهيد فى الجنة [٣] :

ونمـــارق مصـــفوفةٌ ، وحـــدائقٌ ∴ أبديَّـــةُ الإيـــراق والثمـــرات

حيث تأثر فيه بقول الله (عز وجل) : ﴿ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴾ [٤] .

---

(١) الديوان ص ٤٨ .

(٢) من الآية (٣) – سورة الطلاق .

(٣) الديوان ص ٥٢ .

(٤) الآية (١٥) – من سورة الغاشية .

ملامح تشكيل الصورة الشعرية

إذا كان الشعر يعتمد اعتمادًا كبيرًا على الخيال ، فإن الصورة الشعرية تُعد التحقق الجوهرى لهذا الخيال [١] ، وإذا كان الميل إلى التصوير أمرًا فطريًا فى الإنسان لكونه شغوفًا بنقل المشاهد والأفكار ورسمها [٢] ، فإن هذه المقولة تنطبق تمامًا على الشاعر ، حيث يزداد شغفه برسم الصور وابتكارها .

والصورة الشعرية مجال للإبداع الفنى ، فهى تركيب قائم على الإصابة فى التنسيق الفنى الحى لوسائل التعبير التى ينتقيها وجود الشاعر [٣] .

وفيما يتصل بقصائد الديوان يمكن القول : إن الصورة الشعرية فيها قد اتسمت بملامح مميزة من حيث طرائق تشكيلها ومن حيث سماتها الفنية ، ومن هذه الملامح والسمات :

أولاً : استخدام طرائق التجسيد والتشخيص والتجريد فى رسم الصورة :

يستخدم شعراء الديوان كثيرًا طريقة التجسيد فى إبداع الصور الشعرية ؛ حيث يعمدون إلى تجسيد المعانى وإظهارها فى صورة المحسوسات .

ومن ذلك قول الشاعر (شريف جاد الله) [٤] :

يـــا كـــل دمعـــة عـــين صـــرت ناطقـــة

الحـــزن ســـهم بقلـــب الـــريح يرميـــا

---

(١) انظر : الخيال : مفهومه ووظائفه – للدكتور / عاطف جودة نصر ص ١٦١ – ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٤ م .

(٢) راجع : الشعر العربى بين الجمود والتطور – للدكتور / محمد عبد العزيز الدراوى ص ١٨٩ – ط نهضة مصر ١٩٨٥ م .

(٣) انظر : البناء الفنى للصورة الأدبية فى الشعر – للدكتور / على على صبح ص ١١ – المكتبة الأزهرية للتراث ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦ م .

(٤) الديوان ص ٢١ .

حيث يرسم الشاعر صورة للحزن الناهش فى أعماق صدره لفقد الشيخ الشهيد ، وقد لجأ إلى طريقة التجسيد فى رسم هذه الصورة ؛ حيث أبرز الحزن (وهو معنوى) فى صورة السهم (وهو محسوس) على سبيل التجسيد .

ومن الطرق التى يسلكها شعراء الديوان فى رسم صورهم طريقة التشخيص ، حيث يخلعون على الأشياء صفات الإنسان الحى .

ومن ذلك قول الشاعر (أحمد عبد الجواد) [1] :

حتى أتى الصاروخ ينفث غلّه ∴ ويسوقُه حقدٌ عليكَ دفينُ

حيث جعل للصاروخ صفات الإنسان الذى يحمل الغلّ والحقد للشيخ القعيد ، وهى صورة تنبئ عن وحشية العدوان ، وقسوة أولئك الذين أطلقوا هذا الصاروخ .

وقد يسلك الشعراء سبيل التجريد فى رسم الصورة ، ويقصد بالتجريد : " تجريد المحسوسات وتحويلها إلى معان " [2] .

ومن ذلك قول (محمد الشهاوى) [3] :

يا شيخُ (أحمدُ) يا هِبَةَ الذات ∴ عيناكَ أم بحران من آيات

ويداك أم قمران من صوفيّة ∴ عمرية الومضات والبركات

حيث أراد الشاعر وصف عينى الشيخ فوصفهما بالآيات العظيمة ، وأراد تصوير يديه فأظهرهما فى صورة صوفية مباركة ، وفى كلا الأمرين سلك الشاعر سبيل التجريد ؛ حيث حول المحسوسات إلى معانٍ .

---

(١) الديوان ص ١٢

(٢) دراسات أدبية - للدكتور / أحمد هيكل ص ١٧٥ - ط دار المعارف - الطبعة الأولى ١٩٨٠ م .

(٣) الديوان ص ٥١ .

ثانيًا : استخدام الصور المتتابعة :

يكثر فى قصائد الديوان استخدام الصور المتتابعة التى يأتى بها الشاعر بعضها فى إثر بعض لتعبر عن إحساسه تجاه الأزمة .

ومن ذلك قول (محمد الشهاوى) [1] :

كالعرض شأنُ الأرض فى الحرمات

فيحاءَ كانتْ أو رمالَ فلاة

قل: إنها - يا قلبُ - أولُ آية

فى سورة الأرحام والرحمات

قل : إنها الوطن المُفَدَّى والحمى

ومآثر الماضى ، وكلُّ الآتى

قل : إنها مهد الطفولة والصّبا

ومدارجُ الأحلام والصبوات

قل : إنها أشياءُ يصعبُ وصفها

إلا بنبض القلب والخفقات

حيث استخدم الشاعر الصور المتتابعة فى رسم صورة أرض العروبة حيث جعلها عرضًا له حرمته ، وآية من الرحمة ، ووطنًا من الفداء ، كما جعلها الماضى الخالد ، والمستقبل المشرق ، ومهد الطفولة والصبا ، وروضة الأحلام والآمال . وصورة ارتسمت فى القلب وخالطت نبضاته .

---

(١) الديوان ص ٥١ .

ثالثًا : تعبير الصورة عن الحالة النفسية للشاعر :

من السمات البارزة فى الصورة الشعرية فى الديوان ملاءمتها للجو النفسى للشاعر ، وتعبيرها عن حالته النفسية .

يقول الشاعر (عبد الرحمن العشماوى) مخاطبًا الشيخ (ياسين) [١] :

- يـا فـارس الكرسـى ، وجهـك لم يكـن

إلا ربيعًـا باهـدى مزدانـا

فى شـعر لحيتـه الكريمـة صـورة

للفجـر حـين يبشـر الأكوانـا

فالشاعر يعرض وجه الشهيد فى صورة الربيع المزهر ، ولحية فى صورة الفجر المشرق ، وهما صورتان تعكسان ما تكنه نفس الشاعر للشيخ من إعجاب وإجلال .

ومن الصور المعبرة عن نفسية الشاعر تلك الصورة التى رسمها الشاعر (شريف جاد الله) لصدى صوته الباكى ، حيث يقول [٢] :

يـا دمـعُ ، يـا دمـعُ لا ردَّ سـأسمعه

سوى صـدى صـوتى المخنـوق ناعينـا

حيث صور صدى صوته فى صورة إنسان يختنق ، وهى صورة تعكس ما يعانيه الشاعر من أسى وضيق .

ومن هذه الصور الملائمة للجو النفسى للشاعر تلك الصـورة التى رسمها الشاعر (عمر الشافعى) للأمة بعد اغتيال الشيخ (ياسين) حيث يقول [٣] :

---

(١) الديوان ص ٢٨ .

(٢) الديوان ص ١٩ .

(٣) السابق ص ٢٤ .

سـتور بركانًـا يزلـزل أرضـه ∴ وسـيعلم الفجـارُ مـا عقبـاه

فهو يصور الأمة فى صورة بركان ثائر يزلزل الأرض ويرعب المعتدين ، وهى صورة تعكس ما يعتمل داخل نفسه من غضب وغيظ ونقمة على الأعداء .

رابعًا : الافتنان فى رسم الصور البديعة :

من الظواهر البارزة فى تشكيل الصورة لدى شعراء الديوان الافتنان فى رسم الصور البديعة التى تتسم بالجدة والابتكار والتأنق فى تأليف جزئياتها .

ومن هذه الصور البديعة تلك الصورة التى رسمها الشاعر (وحيد الدهشان) للشهيد (ياسين) حيث يقول [١] :

هو الجسمُ الذى يفنى ، ويبقـى ∴ ضياءُ الروح يصـفع مَـنْ تعـامى

فالشيخ قد ذهب جسمه ، لكن روحه باقية تشع نورًا يهدى الضالين ، ويصفع المتخاذلين ، وهذه صورة جدُّ بديعة .

ومن ذلك - أيضًا - تلك الصورة التى رسمها الشـاعر (طلعت الغمرى) للذكرى ذلك الشهيد فى قوله [٢] :

ذكـراك (أحمـدُ) للقلـوب وقودهـا

وكلامكـم فيهـا لـه دوشًـا صـدى

حيث جعل ذكرى الشيخ وقودًا يلهب القلوب ، ويذكى النفوس ، ويحفز العزائم لتحقيق النصر المرتجى ، وهذه من بديع الصور .

---

(١) الديوان ص ٥٥ .

(٢) السابق ص ٢٤ .

ومن الصور البديعة - أيضًا - تلك الصورة التى رسمها الشاعر (محمد فؤاد) لكفاح الشهيدين حين يقول [١] :

(ياسينُ) قال حكايةً بدمائه

وأتم قصتهُ دمُ (الرنتيسى)

حيث جعل رحلة الكفاح حكاية تُروى ، وقد بدأ أحداثها الشهيد (ياسين) ، وأتم تفاصيلها خليفته (الرنتيسى) ، وقد سطر كل منهما مشاهدها بمداد دمائه ، وهذه من الصور البديعة .

---

(١) السابق ص ٤ .

ملامح التشكيل الموسيقى :

يمتاز الشعر عن غيره من فنون الأدب بموسيقاه التى فيه قوة النفوذ والتأثير ، وتكسبه متعة الإنشاد ، وسهولة الحفظ والترديد .

وإذا كانت الموسيقا تساعد المبدع فى بناء مضمونه الشعرى وانسياب أفكاره ومشاعره [١] ، فهى تزيد من انتباه المتلقى ، وتجعله يحس بمعانى الشعر كأنها تمثل أمام عينيه تمثيلاً واقعيًا ، كما أنها تهب الكلام مظهرًا من مظاهر العظمة والجلال، وتجعله قادرًا على الوصول إلى قلب المتلقى ، فيردده مرارًا وتكرارًا [٢] .

ويفرق دارسو موسيقا الشعر بين لونين من الموسيقا :

أحدهما : الموسيقا الخارجية المتمثلة فى الوزن والقافية .

والآخر : الموسيقا الداخلية الناشئة عن تناغم الكلمات ، وإيقاع العبارات داخل البيت الشعرى فى القصيدة .

أما ما يتصل بقصائد الديوان فقد اشتملت على ألوان متناغمة من موسيقا الشعر الخارجية والداخلية :

أولاً : الموسيقا الخارجية :

تشتمل موسيقا الشعر الخارجية على الوزن الذى يُبنى عليه إيقاع القصيدة ، وعلى القافية التى تنتهى بها أبياتها .

---

(١) انظر : قضايا النقد الأدبى الحديث - للدكتور / محمد السعدى فرهود ص ١٣٤ - ط دار الطباعة المحمدية ١٩٧٩م .

(٢) راجع : موسيقا الشعر - للدكتور / إبراهيم أنيس ص ١٦ - الطبعة الخامسة - دون إشارة إلى مكان الطبع أو تاريخه .

أما ما يتصل بالوزن فيمكن القول : إن كل قصائد الديوان جاءت على نظام القصيدة العمودية التى تُنظم على وزن واحد من أولها إلى آخرها ولعل هذا مرجعه إلى تمسك الشعراء بالتقاليد الشعرية المتوارثة .

وقد استعمل شعراء الديوان سبعة أبحر عروضية هى : الكامل ، والوافر ، والبسيط ، والمتقارب ، والرمل ، والخفيف ، والمتدارك .

والجدول التالى يبين عدد القصائد المنظومة على كل بحر :

البحر العروضى	الكامل	الوافر	البسيط	المتقارب	الرمل	الخفيف	المتدارك
عدد القصائد المنظومة على كل بحر	١٧	٥	٤	٢	١	١	١

وبتأمل الجدول السابق يمكن ملاحظة ما يلى .

- احتل بحر الكامل النصيب الأكبر من أوزان قصائد الديوان ، ولعل مردّ هذا إلى ما يمتاز به هذا البحر من تناغم موسيقى ناشئ عن كثرة الحركات ، وذلك " لأن فيه ثلاثين حركة لم تجتمع فى غيره من الشعر " [١] .

كما أن سهولة النظم على هذا البحر جعلته كثير الدوران فى الشعر الحديث جميعه ، يقول الدكتور / إبراهيم أنيس [٢] : " البحر الكامل فى عصرنا الحديث قد أصبح معبود الشعراء ، وهو - أيضًا - البحر الذى يستمتع به جمهور السامعين من محبى الشعر ، فيطرقه الآن كل الناظمين : الشعراء منهم والمتشاعرون ، فإذا وصف القدماء الرجز بأنه مطية الشعراء ، يمكننا الآن - ونحن مطمئنون - أن نصف الكامل بأنه مطية شعرائنا المحدثين " .

---

(١) موسيقا الشعر العربى بين الثبات والتطور - للدكتور / صابر عبد الدايم ص ٨٧ - مكتبة الخانجى بالقاهرة - الطبعة الثالثة ١٤١٣ هـ / ١٩٩٣ م .

(٢) موسيقا الشعر ص ٢٠٨ .

- يأتى بحر الوافر بعد الكامل فى استخدام شعراء الديوان له ، وهو بحر له موسيقاه الخاصة وإيقاعه المميز . يقول عنه الباحثون : " هذا البحر كثير الطواعية يشتد إذا شددته ، فيصلح لموضوعات الحماسة والفخر والمدح والهجاء وما إليها ، ويرقّ إذا رققته فيصلح لموضوعات الغزل والرثاء والوجدانيات وما إليها ، ولذلك نراه كثير الشيوع فى الشعر العربى قديمه وحديثه " [١] .
- يجىء بحر البسيط بعد الوافر فى عدد قصائد وروده فى الديوان ، وهو بحر له موسيقاه المميزة التى تمنح النص لونًا من التموج والانسيابية ، والإيقاع الذى يعطى النفس حالة من حالات السمو والصفاء [٢] .
- نرى بحر المتقارب فى المرتبة الرابعة من حيث عدد مرات وروده فى الديوان ، وهو بحر يتسم بانسجام موسيقاه ، وحسن وقعها فى الآذان [٣] .
- نظم شعراء الديوان قصيدة واحدة على كل من أبحر : الرمل ، والخفيف ، والمتدارك .

ومن الملاحظ أن الشعراء استخدموا هذه الأبحر تامة ، ولم يستخدموا مجزوءها ، غير أن قصيدة واحدة جاءت على مشطور الكامل هى قصيدة (حوارية مع شهيد الفجر) للشاعر (حامد عبد السميع رجب) [٤] .

---

(١) المعجم المفصل فى علم العروض والقافية وفنون الشعر ص ١٦٢ .

(٢) انظر : دراسات فى النص الشعرى - للدكتور / عيده بدوى ص ٧٢ - ط دار الرفاعى بالرياض - الطبعة الثانية ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م .

(٣) راجع : موسيقا الشعر - للدكتور / إبراهيم أنيس ص ١٠٦ .

(٤) الديوان ص ١٣ .

وقد استخدم شعراء الديوان الأبحر ذوات التفعيلات المتساوية [١] ممثلة فى الكامل ، والوافر ، والمتقارب ، والرمل ، والمتدارك .

كما استخدموا الأبحر ذوات التفعيلات المتجاورة [٢] ممثلة فى البسيط والخفيف .

أما القافية فهى الجزء الأخير من البيت الشعرى [٣] ، ولها أهميتها البالغة ، وقيمتها الإيقاعية فى النص الشعرى ؛ فالقافية تاج الإيقاع الشعرى ، وهى لا تقف من هذا الإيقاع موقف الحلية ، بل هى جزء لا ينفصم منه ؛ إذا تمثل قضاياها جزءًا من بنية الوزن الكامل تُفسَّر من خلاله وتُفسِّره ، فهما وجهان لعملة واحدة [٤] .

وقد بنى شعراء الديوان قصائدهم على اثنى عشر حرفًا من حروف الهجاء هى : الهمزة ، والتاء ، والدال ، والراء ، والزاى ، والسين ، والقاف واللام ، والميم ، والنون ، والألف ، والياء .

والجدول التالى يبين عدد القصائد المنظومة على كل قافية :

(١) الأبحر ذوات التفعيلات المتساوية هى التى تتألف من تفعيلة مكررة . (انظر : فى الميزان الجديد - للدكتور / محمد مندور ص ٢٢٧ - ط دار نهضة مصر للطبع والنشر - دون إشارة إلى تاريخ الطبع) .

(٢) الأبحر ذوات التفعيلات المتجاورة ما كانت التفعيلة الأولى فيها تساوى الثالثة ، والثانية تساوى الرابعة . (راجع : السابق : الصفحة نفسها) .

(٣) حُددت القافية بأنها " الساكنان اللذان فى آخر البيت مع ما بينهما من الحروف المتحركة ، ومع المتحرك الذى قبل الساكن الأول " . (العروض القديم : أوزان الشعر العربى وقوافيه - للدكتور / محمد على السمان ص ٢١٥ - ط دار المعارف ١٩٨٤ م) .

(٤) انظر : القافية : تاج الإيقاع الشعرى - للدكتور / أحمد كشك ص ٩ - المكتبة الفيصلية ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م .

حرف القافية	النون	الهمزة	الراء	الدال	الميم	التاء	السين	الألف	الزاى	الفاء	اللام	الياء
عدد القصائد المنظومة على كل حرف	٦	٤	٤	٣	٣	٢	٢	٢	١	١	١	١

ومن خلال هذا الجدول يمكن تقسيم هذه الحروف من حيث كثرة ورودها رويًا فى قصائد الديوان إلى أقسام ثلاثة :

القسم الأول : حروف كثيرة الشيوع فى قوافى شعر الديوان : وهذا القسم يتضمن حروف النون ، والهمزة ، والراء ، فهذه الثلاثة تمثل نحو ٤٥ ٪ من قوافى الديوان .

القسم الثانى : حروف متوسطة الشيوع : وهذا القسم يضم حروف الدال ، والميم ، والتاء ، والسين ، والألف ، وقد جاء على هذه الخمسة نحو ٣٩ ٪ من قوافى الديوان .

القسم الثالث : حروف قليلة الشيوع : وهذا القسم يشتمل على حروف الزاى ، والفاء ، واللام ، والياء ، وقد نظم على هذه الأربعة نحو ١٣ ٪ من قوافى الديوان .

ويلاحظ أن كل قصائد الديوان جاءت على نظام القافية الموحدة باستثناء واحدة جاءت متنوعة القوافى هى قصيدة (عليك الفعال ، علينا الكلام) للشاعر (عثمان إسماعيل) [١] ، حيث سلك بها صاحبها سبيل الشعر المرسل [٢] ، ومنها قوله مخاطبًا الشيخ (ياسين) :

(١) الديوان ص ٣٣ .

(٢) يسمى بالشعر المرسل " التزام بحر واحد مع التحرر من القافية " .

عليك الجهاد ، علينا النـــزال ∴ عليك الفعـــال ، علينـــا الكـــلام

على كل حـــر مطـــل كـــنجم ∴ بشوش كفجـــر ، وضـــيء كبـــدر

ويصـــنع بالـــدم إشـــراقة ∴ فتـــطلع فى الكـــون أنـــواره

فقد جاء كل بيت منتهيًا بروى مختلف ، حيث انتهى البيت الأول بقافية الميم ، والثانى بالراء ، والثالث بالهاء ، وهكذا إلى نهاية القصيدة .

أما ما يتصل بإطلاق القافية وتقييدها [1] ، فقد جاءت قوافى الديوان منوعة بين الإطلاق والتقييد .

لكن القوافى المطلقة تمثل النصيب الأكبر ؛ إذ تشغل أكثر من ٨٠ ٪ من قوافى قصائد الديوان ، بينما لا تحتل القوافى المقيدة سوى نسبة لا تزيد عن ٢٠ ٪ منها .

ومن أمثلة القصائد ذوات القافية المطلقة قصيدة (الرد المناســب) للشـاعر (وحيد الدهشان) التى يقول فيها [2] :

يدُ الباغينَ قد قتلـــتْ هماهـــا ∴ لـــه العزمـــاتُ تـــأبى الانهزامـــا

يُعيدَ الفجر رامَ الغدرُ شـــيخًا ∴ ونـــالوا منـــه مـــا يغـــدو حطامـــا

أما القافية المقيدة فيمكن التمثيل لها بقصيدة (سلام إلى الشهيد أحمد ياسين) للشاعر (رشاد البيومى) التى يقول فيها [3] :

إليكَ سلامى بطيـــب الكـــلام ∴ فأنـــت المـــنير بتلـــك الظُلَـــمْ

صنعت الرجال ، وخضت المحال ∴ تروم المعـــالى ، وســـامى القمَـــمْ

---

(١) القافية المطلقة : ما كان رويها متحركًا ، والمقيدة : ما كان رويها ساكنًا . (انظر : القافية : دراسة صوتية جديدة – للدكتور / حازم على كمال الدين ص ٣٤٦ – مكتبة الآداب ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨ م) .

(٢) الديوان ص ٥٥ .

(٣) الديوان ص ١٦ .

ثانيًا . الموسيقا الداخلية .

تضمنت قصائد الديوان فضلاً عن الوزن والقافية ألوانًا من موسيقا الشعر الداخلية التى أضفت على النصوص مزيدًا من الإيقاع المتناغم والجرس الأخاذ .

ومن هذه الألوان الموسيقية :

• التنوين :

يعد التنوين من أكثر ألوان الموسيقا الداخلية شيوعًا فى قصائد الديوان ، ويستعين به الشعراء لزيادة عنصر الإيقاع فى قصائدهم .

يقول (محمد الشهاوى) مصورًا نعيم الشهيد فى الجنة [1] :

حورٌ ، وولـــدانٌ ، وخمـــرٌ لـــذةٌ ∴ قدســـية الأنخـــاب والنشـــوات

" ونمارقٌ مصـــفوفةٌ " وحـــدائقٌ ∴ أبديـــةُ الإيـــراق والثمـــرات

وكواعبٌ ما مسَّـــها إنـــس ولا ∴ جانٌّ يَمسُّ خفـــائر البـــسمات

فقد أكثر الشاعر من التنوين فى الأبيات السابقة ، حيث استعمله عشر مرات فى كلمات : " حورٌ " ، و " ولدانٌ " ، و " خمـــرٌ " ، و " لـــذةٌ " ، و " نمـــارقٌ " ، و " مصفوفةٌ " ، و " حدائقٌ " ، و " كواعبٌ " ، و " إنسٌ " ، و " جانٌ " ، مما أشـاع فى البيات قدرًا كبيرًا من الإيقاع .

• الإكثار من حروف المد :

لحروف المد موسيقاها الخاصة ؛ إذ تتوفر لها مساحات صوتية لا تتوفر لغيرها من الحروف مما يجعل منها متنفسًا لعرض مشاعر المبدع .

وقد أدرك شعراء الديوان هذه الخصائص الصوتية لحروف المد ، فأكثروا من استخدامها فى قصائدهم ، ومن ذلك قول (حامد عبد السميع) [2] :

---

(١) الديوان ص ٥٢ .

(٢) الديوان ص ١٣ .

أتـــراكَ مثـــل الآخـــرين قضـــيتَ مـــن أجـــل العشـــيرة

أم هـــل رأيـــت مكانـــكَ الـــسامى ورتبتـــك الـــوثيرة [1]

فـــدعوتَ للقـــدس الـــتى فى قبضـــة الغـــازى أســـيرة

(ياســـينُ) يـــا ركـــنَ الشـــهادة والـــبراءة والشـــعيرة

فقد استخدم الشاعر فى الأبيات السابقة عددًا كبيرًا من حروف المد ، حيث كرر ألف المد تسع مرات ، والياء تسعًا - كذلك - ، فتكون جملة حروف المد ثمانية عشر حرفًا فى أربعة أبيات من بحر مشطور ، وهذا العدد الكبير منها قد أحدث وقعًا موسيقيًا لا يخفى أثره .

● **تكرير حرف من حروف الهجاء** :

قد يكرر الشعراء حرفًا من حروف الهجاء الصامتة مما يحدث أثرًا موسيقيًا واضحًا . يقول (رشاد البيومى) مخاطبًا الشيخ (ياسين) [2] :

صنعت الرجال ، وخضت المحال ∴ تروم المعالى ، وسامى القمَمْ

وكنت مثالاً عزيزًا كريمًا ∴ لكل الأُلى شاركوا فى النقَمْ

فقد كرر الشاعر الميم فى هذين البيتين تسع مرات مما خلع على الأبيات غلالة زاهية من الموسيقا الداخلية .

● **ترديد كلمة** :

إن ترديد كلمة من الكلمات والإلحاح عليها مما يُكسب النص الشعرى إيقاعًا ونغمًا يزيدان من موسيقية ، ومن أمثلة ذلك فى شعر الديوان قول (يوسف الشريف) [3] :

---

(١) الوثيرة : الناعمة .

(٢) الديوان ص ١٦ .

(٣) الديوان ص ٥٩ .

(الله أكـــبر) للـــرحمن رددهـــا

مـــؤذنُ الفجـــر ميقـــات المصـــلينا

لبيـــك لبيـــك يـــا الله فى شـــغف

- قـــد قلتـــها خاشـــعًا ترجـــو الرياحينـــا

فقد كرر الشاعر كلمة (لبيك) بقصد التعبير عن سرعة استجابة الشيخ لنداء مؤذن الفجر من ناحية ، والاهتمام بالعنصر الموسيقى من ناحية أخرى .

● **تكرار عبارة** :

كثيرًا ما يكرر شعراء الديوان العبارات بهدف التعبير عن الحالة النفسية لهم من جهة ، وتزيين موسيقا قصائدهم من جهة أخرى .

يقول وحيد الدهشان [1] :

هل نحن أرباب المـــروءة والنـــدى ∴ وكـــرائم الأعمـــال والآثـــار ؟

هل نحـــن أبنـــاء العروبـــة نخـــوة ∴ لا تنحنى للخصم فى المضـــمار ؟

هل نحن إن يجهل علينـــا جاهـــل ∴ لم نلقـــه بالشـــجب والإنكـــار ؟

هل نحن نحمـــى عرضـــنا بحرابنـــا ∴ ونصـــونه بالصـــارم البتـــار ؟

هل نحن أحفـــاد الـــذين تســـنموا ∴ متن الصعاب وصهوة الأعطـــار ؟

فعبارة (هل نحن) فقد تكررت معبرة عن استنكار الشاعر لسلبية الموقف العربى ، مضفية على الأبيات لونًا من الإيقاع الموسيقى .

---

(١) السابق ص ٥٧ .

• **التصريع** :

يجيء التصريع كثيرًا فى قصائد الديوان سواء فى مطلعها أم فى غير مطلعها .

ومن القصائد التى اشتملت على التصريع فى مطلعها قصيدة (يا فارس الكرسى) للشاعر (عبد الرحمن العشماوى) التى يقول فى مطلعها [١] :

هم أكسبوك من السباق رهانا ∴ فربحت أنت ، وأدركوا الخسرانا

ومن القصائد التى جاء فيها التصريع فى غير المطلع قصيدة (إن الصباح وإن تأخر آت) للشاعر (محمد الشهاوى) حيث يقول فى غير مطلعها [٢] :

يا شيخ (أحمد) يا غريب الذات ∴ يا خالد الأمجاد والغزوات

والتصريع من ألوان الموسيقا الداخلية التى تُكسب النص لونًا من الإيقاع سواء أكان فى المطلع أم فى غيره .

• **الترصيع أو حسن التقسيم** :

ويُقصد به تجزئة البيت وتقفية أجزائه ، أو التسوية بين الأجزاء فى الوزن [٣] .

ومنه قول (رشاد البيومى) [٤] :

بصبر الفداء ، وعز الرجال ∴ وروح الجهاد ، وعالى الهمم

ولا يخفى ما فى حسن التقسيم من تناغم موسيقى ناشئ عن تقسيم البيت الواحد إلى أجزاء متساوية فى الوزن .

---

(١) الديوان ص ٢٧ .

(٢) السابق ص ٥٢ .

(٣) انظر : القافية فى العروض والأدب - للدكتور / حسين نصار ص ٤٠ - ط دار المعارف ١٩٨٠ م .

(٤) الديوان ص ١٦ .

• **الجناس** :

وهو أن يتفق اللفظان فى وجه من الوجوه ، ويختلف معناهما [١] .

ومنه قول (محمود عبد السلام إمام) [٢] :

اشهدى يا سماء روح شهيد ∴ وتزكى يا أرض بالأشلاء

فقد جانس الشاعر بين (اشهدى) ، و (شهيد) ، ومعروف أن للجناس أثره الموسيقى الناشئ عن تماثل الكلمات تماثلاً تطرب له الأذن ، وتهتز له أوتار القلوب ، فتتجاوب - فى تعاطف - مع أصداء أبنيتها مُحدثة فى النص الأدبى موسيقا داخلية تربط بين ألفاظه بوشائج التنغيم [٣] .

كما اشتملت قصائد الديوان على لون خفىّ من موسيقا الشعر الداخلية ، وهذا اللون يصعب الوقوف على مواضعه أو تحديد ملامحه ، وإنما يأتى من " اختيار الكلمات وترتيبها ، والمواءمة بين الكلمات ، والمعانى التى تدل عليها " [٤] ، كما يأتى من انتقاء الشاعر للألفاظ الموحية التى تنقل تجربته وإحساسه إلى المتلقى بالصورة المثلى .

يقول الشاعر (شريف جاد الله) [٥] :

---

(١) راجع كتاب : الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز للعلوى ٢ / ٢٥٥ - دار الكتب العلمية بيروت لبنان - دون إشارة إلى تاريخ الطبع .

(٢) الديوان ص ٥٤ .

(٣) انظر : علم البديع : دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع - للدكتور / بسيونى عبد الفتاح فيود ص ١٩٤ - ط مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ، ودار العلم الثقافية للنشر والتوزيع - الطبعة الثانية ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨ م .

(٤) التحرير الأدبى : دراسة نظرية ونماذج تطبيقية - للدكتور / حسين على محمد ص ٢٢٨ - مكتبة العبيكان بالرياض - الطبقة الأولى ١٤١٧ هـ/١٩٩٦ م

(٥) الديوان ص ٢١ .

يا أمة النور هل ترضين ذلتنا ؟ ∴ أمشي بجرحي ، وجرحي اليوم يدمينا

هذا شهيدك يا إسلام مرقده ∴ في جنة الخلد يهدينا العناوينا

يا أمة العرب هيا استيقظي،فمتى ∴ يجيء أفق الضحى يمحو دياجينا ؟

يا شيخُ (ياسين) ، هذا يوم أمتنا ∴ وعرس كل شهيد صار هادينا

لكن عرسك يا (ياسين) خفقتنا ∴ وموكب العرس في الأقصى يباهينا

يا راحلاً وجنان الخلد مرقده ∴ أبلغْ سلامًا إلى خير النبينا

ففي الأبيات السابقة أجواء متناغمة من موسيقا الشعر الخفية التي يحس المتلقي وقعها وتأثيرها دون أن يضع يده على مواضعها .

وهكذا اشتملت قصائد الديوان على ألوان رائعة من موسيقا الشعر : الخارجية والداخلية ، الجلية والخفية .

خاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، وبتوفيقه تُنال الطلبات ، وتُقضى الحاجات .

والصلاة والسلام على صاحب خاتمة الرسالات ، سيدنا محمد المؤيد بالمعجزات والبراهين الساطعات ، اللهم صلِّ عليه وعلى آله وصحبه الغر السادات ، صلاة وسلامًا دائمين ما دامت الأرض والسماوات .

أما بعد

فقد انتهيت بعون الله (تعالى) من إعداد هذا البحث الذي تناول (ملامح الرؤية والتشكيل في ديوان " دموع العين في وداع الرئيس وأحد ياسين " مجموعة من الشعراء العرب) .

والذي تحدثت فيه أولاً عن حياة الشهيدين (أحمد ياسين) و (الرنتيسي) ، ورحلة كفاحهما بإيجاز ، ثم عرضت لأهم ملامح الرؤية الفكرية في قصائد رثاء الشيخ (ياسين) ، ثم في قصائد رثاء الشهيد (الرنتيسي) ، وأخيرًا بينت أهم ملامح التشكيل الفني في قصائد الديوان .

وقد تمثلت أهم النتائج التي توصل إليها البحث في النقاط التالية :

- اتجه الشعراء في رؤيتهم الفكرية لحادثة استشهاد الشيخ (ياسين) إلى تصوير فجيعة الأمة في فقد الشيخ ، كما نددوا بتخاذل الموقف العربي وضعف الأمة .

وصوروا نضال الشيخ وعطاءه طوال رحلته العامرة بالكفاح .

- عرض الشعراء ما كان يكابده الشيخ من شوق للشهادة ، وصوروا مشهد اغتياله متددين بوحشية العدوان ، وتحدثوا عن موقف المقاومة إثر استشهاده ، كما وصفوا نعيم الشهيد ومنـــزلته فى الجنة .
- فى رؤيتهم الفكرية لحادثة استشهاد (الرنتيسى) وصف الشعراء أحزان الأمة على فقده ، ونددوا بتماديها فى التخاذل والسلبية ، كما صوروا بطولة الشهيد وكفاحه طوال مراحل حياته .
- أبان الشعراء عن أملهم فى استيقاظ الهمم بعد استشهاد (الرنتيسى) كما صوروا نعيمه فى الجنة ولقاءه فيها بشيخه (ياسين) .
- اتسمت التجربة الشعرية فى قصائد الديوان بالصدق الفنى نتيجة لصدورها عن نفس موجعة ، وقلب مكلوم .
- جاءت العاطفة فى قصائد الديوان غاية فى الصدق ، وكان من أبرز ألوانها العاطفة الحزينة ، والعاطفة الساخرة ، والعاطفة المتفائلة .
- تميزت قصائد الديوان بخصائص تتصل باللغة والأسلوب منها : استخدام الألفاظ السهلة ، والكلمات الموحية ، ودوران الأسلوب بين الجزالة والسهولة ، وتنوعه بين الخبرية والإنشائية ، واستخدام أسلوبى التكرار والحكمة .
- استخدام شعراء الديوان طرق التجسيد والتشخيص والتجريد فى رسم صورهم الشعرية ، كما استخدموا الصور المتتابعة ، وجاءت صورهم معبرة عن حالتهم النفسية ، كاشفة عن مهارتهم فى الإبداع والتصوير .
- اشتملت قصائد الديوان على ألوان متناغمة من موسيقا الشعر : الخارجية والداخلية ، الظاهرة والخفية .

والحمد لله أولاً وآخراً

أهم المصادر والمراجع

- القرآن الكريم (تبارك من أنزله) .
- أسس النقد الأدبى عند العرب – للدكتور / أحمد أحمد بدوى – ط نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع – أكتوبر ١٩٩٤ م .
- الأسلوب : دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية – تأليف / أحمد الشايب – مكتبة النهضة المصرية – الطبعة الثانية ١٤١٣ هـ / ١٩٩٣ م .
- البناء الفنى للصورة الأدبية فى الشعر – للدكتور / على على صبح – المكتبة الأزهرية للتراث ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦ م .
- التجربة الإبداعية فى ضوء النقد الحديث : دراسات وقضايا – للدكتور / صابر عبد الدايم – مكتبة الخانجى – الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م .
- التجربة الشعرية عند المتلقى – للدكتور / عبد اللاه محمود حسن محروس – مطبعة الأمانة – الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٩ م .
- التحرير الأدبى : دراسة نظرية ونماذج تطبيقية – للدكتور / حسين على محمد – مكتبة العبيكان بالرياض – الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ / ١٩٩٦ م .
- الخيال : مفهومه ووظائفه – للدكتور / عاطف جوده نصر – ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٤ م .
- دراسات أدبية – للدكتور / أحمد هيكل – ط دار المعارف – الطبعة الأولى ١٩٨٠ م .
- دراسات فى النص الشعرى – للدكتور / عبده بدوى – ط دار الرفاعى بالرياض – الطبعة الثانية ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م .
- ديوان (دموع المحبين فى وداع الرنتيسى وأحمد ياسين) لمجموعة من الشعراء العرب – سلسلة (على طريق النصر) العدد الأول يوليه ٢٠٠٤ م .
- الشعر العربى بين الجمود والتطور – للدكتور / محمد عبد العزيز الكفراوى – ط نهضة مصر ١٩٨٥ م .
- الشعر المعاصر على ضوء النقد – لمصطفى عبد اللطيف السحرتى – ط المختار والقطم ١٩٤٨ م .

- صبح الأعشى فى صناعة الإنشا - لأحمد بن على القلقشندى - ط دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م .
- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم وحقائق الإعجاز - للعلوى - ط دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - دون إشارة إلى تاريخ الطبع .
- العروض القديم : أوزان الشعر العربى وقوافيه - للدكتور / محمود على السمان - ط دار المعارف ١٩٨٤ م .
- علم البديع : دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع - للدكتور / بسيونى عبد الفتاح فيود ط مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ، ودار المعالم الثقافية للنشر والتوزيع - الطبعة الثانية ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨ م .
- فى الميزان الجديد - للدكتور / محمد مندور - ط دار نهضة مصر للطبع والنشر - دون إشارة على تاريخ الطبع .
- فى النقد الأدبى - للدكتور / عبد العزيز عتيق - ط دار النهضة العربية للطباعة والنشر - بيروت - لبنان - الطبعة الثانية ١٣٩١ هـ / ١٩٧٢ م .
- القافية : تاج الإيقاع الشعرى - للدكتور / أحمد كشك - المكتبة الفيصلية ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م .
- القافية : دراسات صوتية جديدة - للدكتور / حازم على كمال الدين - مكتبة الآداب ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨ م .
- القافية فى العروض والأدب - للدكتور / حسين نصار - ط دار المعارف ١٩٨٠ م .
- قصة كفاح الشيخ (أحمد ياسين) - دار طيبة للطباعة والنشر ٢٠٠٤ م .
- قضايا النقد الأدبى الحديث - للدكتور / محمد السعدى فرهود - ط دار الطباعة المحمدية ١٩٧٩ م .
- لغة الشعر : قراءة فى الشعر العربى الحديث - للدكتور / رجاء عيد - ط منشأة المعارف بالإسكندرية - دون إشارة إلى تاريخ الطبع .
- مجمع الأمثال للميدانى - تحقيق / محمد أبو الفضل إبراهيم - ط دار الجيل - بيروت - لبنان - الطبعة الثانية ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م .

- المعجم المفصل فى علم العروض والقافية وفنون الشعر - إعداد / إميل بديع يعقوب - ط دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى ١٤١١ هـ / ١٩٩١ م .
- مقدمة ابن خلدون - تحقيق الدكتور / على عبد الواحد وافى - ط نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع - الطبعة الثالثة - دون إشارة إلى تاريخ الطبع .
- مناهج البحث الأدبى : دراسة تحليلة تطبيقية - للدكتور / سعد ظلام - ط نهضة الشرق - جامعة القاهرة - الطبعة الثانية ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦ م .
- موسيقا الشعر - للدكتور / إبراهيم أنيس - الطبعة الخامسة - دون إشارة إلى مكان الطبع أو تاريخه .
- موسيقا الشعر العربى بين الثبات والتطور - للدكتور / صابر عبد الدايم - مكتبة الخانجى بالقاهرة - الطبعة الثالثة ١٤١٣ هـ / ١٩٩٣ م .
- جريدة الأسرة العربية - عدد ٩ ربيع الأول ١٤٢٦ هـ ، الموافق ١٨ أبريل ٢٠٠٥ م .
- شبكة المعلومات الدولية (Internet) موقع :

WWW.wikipedia.org